



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

ديوان أنطون الشوملي " أبو الوليد " (1914 - 1979 م) :

دراسة موضوعية وفنية

ميّ رضوان حميد حمامرة

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1444 هـ \ 2023 م

ديوان أنطون الشوملي " أبو الوليد " (1914 - 1979 م) :

دراسة موضوعية وفنية

اعداد:

ميّ رضوان حميد حمامرة

بكالوريوس اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب / جامعة بيت لحم
فلسطين

المشرفة: د. بنان صلاح الدين

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها،
من دائرة اللغة العربية كلية الدراسات العليا جامعة القدس

القدس - فلسطين

1444هـ \ 2023م



عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس
برنامج : اللغة العربية وآدابها

إجازة رسالة

" ديوان أنطون الشوملي، أبو الوليد (1914-1979م) "

دراسة موضوعية وفنية

اسم الطالبة: ميّ رضوان حميد حمامرة

الرقم الجامعي: 21810004

المشرف: د. بنان صلاح الدين

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 9 \ 5 \ 2023م، من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

التوقيع:

1. رئيس اللجنة. د. بنان صلاح الدين

التوقيع:

2. ممتحنًا داخليًا . د. محمد بنات

التوقيع:

3. ممتحنًا خارجيًا . د. ناهدة الكسواني

القدس - فلسطين

1444هـ \ 2023م

الإهداء

إلى الأكرم منّا جميعاً شهداء فلسطين
إلى أسرانا البواسل في سجون الاحتلال
إلى مَنْ سار معي نحو تحقيق حلمي خطوة بخطوة، إلى رفيق دربي وتاج رأسي،
زوجي حمزة
إلى نبض وجداني، ومهجتي وحياتي، بناتي فاطمة ولجين، وابني صلاح.
إلى أبي الذي طالما أرادني في هذا المقام
إلى أمي التي غرست في قلبي حبّ العلم منذ نعومة أظفاري
إلى أختي الوحيدة الشمعة التي أضاءت لي الحياة، وأخوتي حفظهم الله.
إلى الدكتور وليد الشوملي وعائلته
إلى روح الشّاعر أنطون الشوملي أبو الوليد
إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

الإقرار

أُقرُّ أنا معدة هذه الرسالة أنها قدّمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمّت الإشارة له حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة أو أيّ جزءٍ منها لم يُقدّم لنيل أيّ درجةٍ عليا لأيّ جامعةٍ أو معهد.

التوقيع: 

الاسم: ميّ رضوان حميد حمامرة

التاريخ: 2023/5/9

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:
فإنَّ شكري وتقديري لله عز وجل، الذي وهبني القوة والقدرة والصبر، وأعانني على إتمام هذا العمل، بالرغم من كل الصعاب التي واجهتني.

وأتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للدكتورة المشرفة، بنان صلاح الدين، التي أشرفت على هذه الرسالة، وقدمت لي النصائح النافعة، ولا أملكُ لها إلا الدعاء بأن يجزيها الله خير الجزاء، ويجعل عملها في ميزان حسناتها.

وأوجه شكري أيضًا إلى أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقراءة هذه الرسالة ومناقشتها.

وأخيرًا أسأل الله التوفيق والسداد

ميّ رضوان حميد حمامرة

الملخص

تأتي هذه الدراسة بعنوان: "ديوان أنطون الشوملي، أبو الوليد (1914 \ 1979 م) : دراسة موضوعية وفنية"، وتكمن أهميتها في حداثة الموضوع، فديوان الشاعر أنطون الشوملي لم يُدرس دراسة موضوعية وفنية موسعة من قبل.

وقد أخترت دراسة هذا الموضوع لأسباب عديدة، منها: تنوع الأغراض الشعرية التي طرقها الشاعر، وأن كثيراً من أشعاره يعبر فيها عن الحياة الاجتماعية في فلسطين، ويضاف إلى ذلك الرغبة الجادة في تقديم دراسة موضوعية وفنية شاملة ومفصلة لشعره.

وتهدف هذه الرسالة، إلى دراسة ديوان أنطون الشوملي من ناحية موضوعية تُظهر عناصر الحياة التي عاشها الشاعر من خلال الأغراض التي نظم فيها، ثم دراسته دراسة فنية تُبرز السمات الفنية الخاصة بشعره.

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي، والتحليلي، والجمالي، والتاريخي كلّ في مكانه.

أمّا أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فهي: تقديم دراسة جديدة لشاعر فلسطيني غير معروف، وتسلط الضوء عليه كشاعر يستحق ذكر اسمه بجانب كبار شعراء عصره، الذين قاوموا الاحتلال البريطاني واليهودي، بالإضافة إلى موضوعات شعرية مختلفة. بالإضافة إلى أنه يظهر من خلال سيرة أنطون الشوملي ومن شعره، أنه أحب العلم والتعليم، وقد نظم الشعر مذ كان يافعاً.

وأوصت هذه الدراسة بالاتّجاه نحو هذا النوع من الدراسات، للإسهام في التعرف على الشعراء الفلسطينيين، والتمتع في اكتشاف شعرهم والغوص في أعماقه.

The poetry of Anton Al-Shomali, Abu Al-Walid (1914-1979), an objective and artistic study.

Prepared By: Mai Radwan Hameed Hamamreh

Supervisor: Dr. Banan Salah-ALDeen

Abstract

This study comes under the title: “The Poetry of Anton Al-Shomali, Abu Al-Walid (1914/1979): An Objective and Artistic Study.”

The importance of this study lies in the novelty of the topic, as the poetry of the poet Anton Al-Shomali has not been studied in an extensive objective and artistic study before.

The researcher preferred to study this subject for many reasons, including: the diversity of poetic purposes that the poet used, and many of his poems express the social life in Palestine, and it can be said that he is a poet of occasions. Added to this is the serious desire to present a comprehensive and detailed objective and artistic study of his poetry.

The aim of this thesis is to study Anton Al-Shomali's Diwan from an objective perspective that shows the elements of the life he lived that the poet lived through the purposes in which he said it, then studying it as an artistic study that highlights the artistic features that characterized his poetry.

The importance of studying this subject emerges from several aspects, the most important of which is that it deals with a subject that has not been studied before - as far as I know -, so I wanted to have a share in its study and clarification.

The study adopted the descriptive, analytical, aesthetic, and historical approach, each in its place.

The most important findings of the study are: presenting a new study of an obscure Palestinian poet who was unfairly published in his poetry and poetry, and sheds light on him as a poet who deserves to be mentioned alongside the great poets of his time, who resisted the British and Jewish occupations, in addition to various poetic topics, and the language of his poetry came at times luxurious Sharp mixed with sincere emotion, and sometimes gentle and easy also characterized by sincerity of feelings.

This study recommended heading towards this type of studies, to contribute to the identification of obscure poets, and the enjoyment of discovering their poetry and diving into its depths.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على هديه واستن بسنته واقتدى بصحابته إلى يوم الدين، وبعد:

فموضوع دراستي هذه هي " ديوان أنطون الشوملي، أبو الوليد (1914-1979م): دراسة موضوعية وفنية"، إذ تشمل هذه الدراسة قصائد الشاعر في نسخة ديوانه " الآثار الشعرية " التي جمعها ابنه الدكتور وليد الشوملي " أبو خالد"، وقدمها محمد حلمي الريشة، حيث طبعت في بيت الشعر بفلسطين، وصدرت الطبعة الأولى منها عام 2015.

وقد آثرت اختيار هذا الموضوع لأسباب عديدة، منها: أنه نتيجة تأثر المجتمع الفلسطيني بالمتغيرات السياسية، انعكس ذلك على النتاج الأدبي، وظهر شعراء وكُتّاب لمعت أسماؤهم في الوطن وخارجه، وتحدثوا عن القضية الفلسطينية وعن الواقع المعاش، وكان الأدب سلاحهم ضد أي احتلال.

ولكن يوجد شعراء غير معروفين لم يسدل الستار بعد عن شعرهم، ويمكن القول إنهم ظلموا في ذلك، وهذا ما دفعني إلى الكتابة عن الشاعر " أنطون الشوملي " ودراسة ديوانه، فشعره انعكاس لحياته السياسية والاجتماعية في فلسطين، التي يجب أن تؤرخ وتحفظ وتوثق كجزء من مكونات الوجود الفلسطيني التاريخي والثقافي، كونه الشاعر معلماً، وشغل وظائف إدارية عالية.

وتنوعت الأغراض الشعرية التي طرقها الشاعر، بالإضافة إلى ذلك الرغبة الجادة في تقديم دراسة موضوعية وفنية شاملة ومفصلة لشعره. كل ذلك دفعني إلى هذا الاتجاه في البحث.

وتتبع أهمية الدراسة من كونها هي الأولى - بعد بحثٍ مستفيض - التي تدرس ديوان الشاعر أنطون الشوملي، وتدرس شعره دراسةً موضوعيةً وفنيةً، باستثناء الجهد الذي بذله الكاتب عزيز العصا في كتابه " أنطون الشوملي شاعرًا وكاتبًا وناقدًا"، ولكنه تناول الأبيات وشرحها بشكلٍ عام وركز في الكتابة على حياته الشخصية أيضًا. أما في هذه الدراسة فقد حاولت أن أدرس ديوانه بشكلٍ أوسع لاستجلاء موضوعاته وخصائصه الفنية، وأن أظهر من خلالها جانبًا من الحياة الاجتماعية والسياسية العامة وجانبًا آخر من حياة الشاعر الخاصة وعلاقاته بغيره من الناس.

أما عن المنهج المتبع، فقد اتبعت المنهج التكاملي، فالمنهج الوصفي في دراسة سيرة الشاعر، والتحليلي لتحليل الشعر ودراسته دراسة موضوعية، والجمالي في دراسة شعره دراسة فنية، حيث كان المنهج الغالب على البحث في تحليل أبيات القصائد، وبيان مواضع الشواهد فيها، أما المنهج التاريخي فقد استخدمته في مواضع محدودة من البحث.

وقد جعلت هذه الرسالة في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة: ففي التمهيد ترجمة للشاعر مبينة أبرز المحطات التي مرّ بها في حياته.

وفي الفصل الأول، وقفت على أبرز الموضوعات التي نظم فيها الشاعر قصائده في الشعر الوجداني، وشعر المناسبات، والشعر الوطني.

وفي الفصل الثاني، درست شعره من الناحية الفنية، من حيث: اللغة، والأسلوب، والتناص، والصورة الفنية.

وفي الخاتمة ذكرت أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ومنها: أنّ شاعرنا أنطون الشوملي كان من أهم الشعراء وأبرزهم في بيت لحم بشكل عام، وبيت ساحور بشكل خاص، ففي كل مناسبة أو حدث في داخل الكنيسة كانت له بصمة فيها، ويُطرب الحاضرين بجميل أنغامه الشعرية.

وأما الدراسات السابقة، فلم أجد - على ما توافر لديّ من معلومات - أنّ أحداً من الباحثين قد سبقني إلى الدراسة الموضوعية والفنية لديوان الشاعر " أنطون الشوملي " ، باستثناء الشرح الذي قدمه الكاتب عزيز العصا في كتابه " أنطون الشوملي أبو الوليد: شاعراً وكاتباً وناقداً. الأردن: الرعاية للدراسات والنشر. ط.1 . 2020 .

كذلك كتاب للدكتور جمال سلسع، "الرسالة الشعرية الفلسطينية ما بين الدين والقومية. القدس: مركز اللقاء للدراسات التراثية والدينية في الأرض المقدسة. ط.1. 2000 . أيضاً اختار أبياتاً من قصائده وشرحها.

هذه الرسالة تسعى إلى أن تكون شاملة من خلال الدراسة الموضوعية والفنية لديوان " الآثار الشعرية " للشاعر " أنطون الشوملي " . وإبراز جمالية النصوص وإفساح المجال لظهور شاعر فلسطيني غير معروف والتعرف عليه.

التمهيد

- ترجمة الشاعر
- أبو الوليد والثقافة الدينية المسيحية
- وضعه الصحي ونتاجه الأدبي

التمهيد

ترجمة الشاعر

أنطون الشوملي¹

وُلِدَ أنطون الشومليّ لوالده يوسف عيسى الشوملي، ووالدته نعمة عطا الله الشومليّ في 6 \ آب عام 1914م.

وكان ينتمي لأسرة متوسطة الدخل، في بيت ما زال قائماً في شارع المدارس في حيّ المَرْجِ بيت ساحور، والذي قام بترميمه في العام 2009م، مركز حفظ التراث، واستخدمته " جمعية رفيق الدرب لذوي الاحتياجات الخاصة "، مقرّاً لها حتى مطلع العام 2019م.

وقد كان والدُه يعمل في مهنة عمل تُحفّ صدقيّة، لبيعها للتجار الذين يقومون بدورهم ببيعها للسُّياح القادمين لزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين، وعلى الرغم أن عائلة أنطون الشوملي لم تذق مرارة الجوع الذي عرفه كثيرٌ من الفلسطينيين إبّان الحكم العثماني. إلا أنّ والده كان بحاجة لمساعدته في عمله، مما أجبره على ترك المدرسة بعد إنهاء المرحلة الابتدائية، وعدم مواصلة تعليمه الثانوي.

فكانت تلك نقطة تحول كبيرة في حياته، إلا أنّه لم يستسلم، فكان يدّخر القليل من الأموال لشراء الكتب المدرسيّة، ويدرس في البيت بشكل ذاتي، وذلك بعد أن يُنهي عمله مع والده، إذ قال لولده " وليد " بأنّه كان يقرأ الكتب المدرسية في الليل، وكان يحرص على أن يجلس فوق غطاء السرير لا تحته، خوفاً من أن يصيبه النُّعاس، وينام قبل أن ينتهي من دراسة موضوع معين تلك الليلة.

محطات وسنوات مهمة في حياة الشاعر أنطون الشوملي:

- عام 1935. كان موظفاً في بريد يافا.
- عمل في حقل التعليم في مدارس: بُرقة، والرّامة، وكلية تيراسنطا في القدس، حتى عام 1938م.

¹مصدر المعلومات الواردة عنه، مأخوذة من كتاب عزيز العصا. أنطون الشوملي أبو الوليد. ط. 1. الأردن: الرعاة للدراسات والنشر. 2020. وقد أشار العصا إلى أن الدكتور وليد الشوملي نجل الشاعر هو من زوده بهذه المعلومات في مطلع عام 2018م.

- عام 1938م، اشتغل محرراً للزاوية الأدبية في جريدة فلسطين، أثناء صدورها في يافا، وكان من الرّعين الأول الذي أسهم في رفع صرح الصحافة في فلسطين.
- ومن العام نفسه، وقع على الشوملي الاختيار ليُشغل منصب مساعد المدير العام لقسم البرامج العربية في الإذاعة الفلسطينية بالقدس.
- ثم شغل الشوملي وظيفة إدارية في قسم البريد في القدس حتى النكبة عام 1948م.
- بعد النكبة عُيّن معلماً في كلية المطران في عمّان حتى عام 1957م. وهو العام نفسه الذي وُلِدَ له ابنه الوحيد وليد بعد 14 عاماً من انتظار الإنجاب، فكانت فرحته وزوجته مريم لا توصف، وبعد عام أنجب كريمته هالة.
- عام 1957م، وبعد أن حصل على شهادة البكالوريوس في الآداب من جامعة لندن بدرجة الشرف، انتخب لتنظيم المدرسة اللوثرية الثانوية في بيت لحم، وتولّى إدارتها حتى العام 1972م.
- عام 1972م، انتقل للعمل معلماً في المدرسة " الإكليريكية " في بيت جالا، وكانت متخصصة بتدريس اللاهوت، وتعمل على تخريج الرهبان وعلماء الدين المسيحيين. فقد درّسهم اللغة العربية إضافة إلى الدين والثقافة الإسلامية¹.
- في نهاية المطاف، استقرّ في مسقط رأسه ببيت ساحور، مدرساً للغة العربية وآدابها في مدرسة الروم الكاثوليك.
- عام 1979م. انتقل إلى بارئه.

أبو الوليد والثقافة الدينية المسيحية

ولم يكن " أبو الوليد "، مُتديناً بالمعنى الضيق للكلمة، إلّا أنّه كان مؤمناً بالله وبمسيئته، فكان يتحلى بالأخلاق المسيحية الرفيعة في حياته اليومية مع أسرته، وبين أقرانه، وأفراد مجتمعه، و دائماً يردد: " الدينُ أخلاق ومعاملة قبل أن يكون صلوات وطقوساً وتعبداً ".

وكرّس كل جُده ووقته في السنوات الأخيرة من عُمره في العمل على إضفاء الأسلوب الشعري الرّائع على الترانيم الدينية للكنيسة اللاتينية، حتى إنّه لُقّب بـ " شاعر الكنيسة ".

¹ثقافة الشاعر الإسلامية ظهرت بشكل واضح في شعره، من خلال ذكره للرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وأسماء القادة المسلمين، وذكر معركة حطين، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على احترام الأديان والتاريخ الإسلامي لدى الشاعر، كيف لا وقد أوصى ابنه – الدكتور وليد الشوملي – بتسمية حفيده باسم خالد، تيمناً بالقائد المسلم خالد بن الوليد.

وضعه الصحي ونتاجه الأدبي

لقد جار عليه الزمن خلال فترة حياته، ليس فقط بإصابته في عينه اليمنى، نتيجة رصاصة طائشة من زملائه الذين كان معهم لصيد الطيور، بل كان يُعاني - أيضاً - من ألم شديد في الظهر والرجلين، إذ أصيب بمرض يدعى بالعامية " عرق النسا "، ما يجعله طريح الفراش لمدة شهر تقريباً، وبالتالي فقد أمضى السنوات العديدة من حياته في معالجة عينه تارةً، وظهره ورجله تارةً أخرى.

ومن عجائب القدر، أنه بعد معرفته بأن عينه شُفيت تماماً، وافته المنية بعد أسبوع، وتذكر كريمته هالة أنه رجع إلى المنزل مسروراً جداً، واحتفل معها ومع والدتها بهذا الشفاء، إلا أن القدر كان له بالمرصاد، فكانت وفاته فاجعة للعائلة، ولبيت ساحور، وفلسطين عامة.

الفصل الأول

الدراسة الموضوعية

أولاً: الشعر الوجداني

- الغزل
- الحنين
- الشكوى

ثانياً: شعر المناسبات

- المناسبات الدينية
- المناسبات الثقافية
- المناسبات الاجتماعية
 - التهنئة
 - الرثاء
 - النذب
 - التأبين
 - العزاء

ثالثاً: الشعر الوطني

الفصل الأول

الدراسة الموضوعية

أولاً: الشعر الوجداني

لا شك أن مبدأ هذا الشعر يقوم على التعبير عن عواطف الفرد ومشاعره المختلفة، وما تنطوي تلك العواطف والعوالم من مستويات نفسية وفنية تتجاوز تلك الأحاسيس الفردية إلى تصوير أشواق الإنسان وطموحه، وقلقه وهمومه في مرحلة من شأنها أن تثير في النفس كل هذه الألوان من العواطف والأحاسيس¹.

ولعل أهم سمات الاتجاه الوجداني أنها تقوم على اكتشاف الإنسان لذاته، وانطلاق الصورة الفنية من الوجدان، بالإضافة للميل إلى الصور الخيالية، والتجسيم، والألفاظ الشعرية المحملة بدلالات شعورية غير مقيدة بمعانٍ مادية محدودة².

ويمكن القول إن النزعة الوجدانية عند شاعرنا تمثلت في شعر الغزل، الحنين، والشكوى.

أ- شعر الغزل

وهو من أكثر الفنون الأدبية شهرةً وإمتاعاً، وأقواها في بيان وإبراز عواطف الشعراء ومشاعرهم مع الجنس الآخر، ولكن " أجمع علماء اللغة على أن الغزل معناه التحدث إلى النساء والتودد إليهن"³.

وقد حظي الغزل بمكانة جيدة في ديوان شاعرنا، وقد جاءت قصائده الغزلية على غرار القصائد الغزلية القديمة التي تحمل الشوق للمحوبة، والتوسل إليها بعدم الفراق والحزن والبكاء، بالإضافة إلى أن الشاعر لم يذهب إلى اتجاه وصف المحبوبة وصفاً جسدياً جريئاً بقدر ما

¹ عبد القادر القط. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر. ط. 2. بيروت: دار النهضة العربية. 1981م. ص 490.

² عبد القادر القط، م.ن، ص14

³ حسّان أبو رحاب. الغزل عند العرب. د. ط. القاهرة: مطبعة مصر. 1947م. ص7

وصفها أخلاقياً، ووصف جمالها بعبارات رائعة لا تخدش الحياء، فقد أعلن بشكل مباشر أنه من أتباع الحب العذري، إذ يقول في قصيدته " إنَّما العمرُ لديْنا ليلةٌ ": " أنا عذريُّ الهوى " ¹.

وكونه عذريُّ الهوى بالتأكيد سيكون كغيره من الرومانسيين الذين وصفوا المرأة واهتموا بها في شعرهم روحاً لا جسداً، فهي عندهم الملاذ الآمن يهربون إليها من ظلم الأيام وذلّ الزمان.

لذلك يُمكن القول إنّ الحب عند شاعرنا " كاليد الرحيمة " التي تساعد وتنتشله من مصاعب الحياة، فالحب هو الخلاص من الوحدة واليأس والإحساس بالعجز والاغتراب ².

جعل الشاعر المحبوبة في قصائده، روحه ونفسه، بحيث إذا ابتعدت عنه روحه يموت، إذ يقول ³:

وَألذُّ في شرع الهوى وقضائه روحان طول الدهر يعتنقان

وهذا الجانب الأخير يتمثل في علاقته العفيفة الطاهرة بمحبوبته، ويتجلى هذا في قصيدة " يا من تفرّد بالجمال وسحره " ⁴:

يا من تفرّد بالجمال وسحره	ونأى القرين وعزّ في الأتراب
أقسمتُ أنّك عندليبٌ صادقٌ	متفوّقٌ في السّجّع والإطراب
ما إنّ تقيّه المدح حينَ أرومُهُ	كلّمي فهنّ عواجرٌ ونوابي
من رامَ وصفكَ كان فهاً جاهلاً	فأقرّ بالإغراب والإعجاب
إنّ كنتُ أغلو في هواك فإنّني	لا حول لي في الحبّ والأحباب
إنّي عجزتُ عن القيام بما أرى	لك من حُقوقِ جمّةٍ وثواب
أأظُلُّ مبعثَ حسرةٍ وتألّمٍ	لك مُثقلاً إيّاك بالأوصاب
وأظُلُّ بينَ يديك أسفحُ عبرتي	وتظُلُّ تجرّعُ من أسى وعذاب

¹ الديوان. ص 275

² يسري العزب، القصيدة الرومانسية في مصر: 1932-1952، د.ط. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 41.

³ الديوان. ص 282

⁴ م.ن. ص 262.

لا لا تُجِبنِي بَعْدَ هَذَا إِنَّنِي صَمَّمْتُ أَنْ أُجْزِكَ عَنْ تَعَذُّبِي

إن في تلك الأبيات تعبيراً صادقاً عن مشاعر الحب لتلك المحبوبة التي سيطرت على قلبه وعقله وجعلته لا يعرف السعادة ولا يجدها إلا معها، وأن بعده عنها يجعله حزينا ويشعر باليأس، فما كان منه إلا أن يبرهن لها وفاء قلبه الذي لم يعرف محبوبةً غيرها.

جعلها تتفرد بجمال خاص، لا تشبه أحداً، وكأنها أسطورة الكل يبحث عن حقيقتها وواقعيتها، فهي ليست مثل أترابها، لا بالهيئة ولا بالصوت، وكل شاعر حاول أن يصف هذه المرأة كانت النتيجة أن يقرّ بأنها من العجائب والغرائب. لا يريد الشاعر منّا أن نعجب من صدقه المتناهي مع محبوبته، فهو يعترف بأنه كان سبباً في حزنها على الرغم من أنه كرّر بأنه يحبها جداً وأنه سيعوضها عما بدّر منه.

يمضي الشاعر موضحاً مكانة المحبوبة في قلبه المفتون، بقوله¹:

يا قَرَى ناظري وراحَ فؤادي ومُنَى مُهجتي وريحانَ أنسي
أنت رُوحِي وراحتي وحياتي ما انتفاعي إذا بَعُدتِ بِنفسي؟

وقوله²:

يا دُرَّةَ جَنبَ وردَةٍ ذاتِ عطرٍ بَذَّ كُلَّ العُطورِ نَشْراً وريّاً
أنتِ رِيحانةُ الفؤادِ وروحُ أُنْتِ روحاً دوماً يرفُّ عليّاً

إنّ في تلك الأبيات تعبيراً صادقاً عن مشاعر الحب والوفاء لتلك المحبوبة، فهي التي تتربع على عرش قلبه وعقله ونظره، وقبل أن تملأ دنياه، كان لا يعرف للراحة والهناء معنى في حياته، ولا يقف عند هذا الحد، بل إنه صوّر جمال وحضور محبوبته بطريقة استثنائية جعلتها تتميز عن غيرها من النساء، فهي كالدر الثمين الجميل، الذي يخطف الأنظار حتى من الورود الجميلة الفواحة.

¹ الديوان. ص 267

² م.ن. ص 276

وعند قوله: " ناظري، فؤادي، مهجتي، روحه، راحته، وحياته..."، كل هذا يكشف لنا عن قوة حضور محبوبته في ذهنه وقلبه.

ب- شعر الحنين

للحنين في أشعار أنطون الشوملي جمالية مؤثرة، فهو كغيره من الشعراء اتخذ من الطبيعة أداة يستخدمها لرسم لوحة جميلة من ألوان الحب والشوق والحنين، لكن تميّز في أنه عبّر بذلك بقالب قصصي جعل المتلقي يشعر بنفس إحساسه. يقول في قصيدته "هل تذكرين؟"¹:

قد قُمتُ يوماً في السَّحر	وقد اكتسى الأفقُ الحَبْرَ ²
أَمْشِي وَأُشْبِعُ نَاطِرِي	في روضةٍ تَسِيّ البَصْرَ
وَسَرَى النَّسِيمُ مُضْمَخًا ³	بالعطرِ ينفثُهُ الرَّهْرَ
فَسَرَتْ بِنَفْسِي هَرَّةً	كالبردِ في الجسمِ انتَشَرَ
والعندليبُ على الغُصُو	نِ مُرْتَبلاً أَشْجَى السُّورِ
سَكِرْتُ بِهَا رُوحِي وَقَلْ	تُ: الطَّيْرُ غَنَى أَمْ شَعَرَ؟
شِعْرٌ لَعَمْرِي رَنَّ فِي	أُذْنِي كَمَا رَنَّ الْوَتَرُ
وَالسَّحَرُ فِيهِ ذَائِبٌ	لِلَّهِ سَحَرٌ فِي السَّحَرِ!
وَإِذَا مَطَوَّقَةٌ تَنُوءُ	حُ نَوَاحٍ صَبَّبَ فِي خَفَرِ
فَيُجِيبُهَا بِتَأَوُّهِ	لَوْ كَانَ فِي الصَّخْرِ انْفِطَرُ
فَفَهَمْتُ مَا هِيَ قَدْ أَسَرَ	تُهُ وَمَا هُوَ قَدْ أَسَرَ
نَاحًا فَتُحِتُ تَذَكُّرًا	لِلَّهِ صَافٍ إِنْ ذَكَرُ !

¹ الديوان. ص 264

² الحبر: حَبَرَ الثوب: أي طَرَزَهُ وَوَشَّاه. جعل من منظر جمال الأفق - أي صورة ملتقى الأرض بالسماء عند السحر -، كأنه ثوبٌ جميلٌ مطرز بأجمل الألوان.

³ مضمخًا: أي تَلَطَّخَ بالطيب.

والذكريات وإن حلت
تلقى بها وخز الإبر
يا مي هلاً تذكري
من فتاك إن طلع القمر؟!

أوتذكرين لياليا
بنتنا يظللنا الزهر
وفراشنا عشب نضير
لا نبالي بالقدر
والدهر عنا غافل
والناس عنا في سفر
يا مي قد أسقيتني
بالهجر كأسا ما أمر!

يا مي قلبي من دم
رقي فما هو من حذر

بدأ الشاعر قصيدته بتطلعاته إلى الماضي بقالب قصصي، يبدأ في وقت السحر وينتهي عند طلوع القمر، ونلاحظ على الشاعر في أبياته تلك محاولته لتوظيف معادلة سحرية تحمل مفارقة عجيبة بين وقت السحر وطلوع القمر،

وقت السحر	طلوع القمر
يمثل الماضي	يمثل حاضر الشاعر
أمان	ظلم وخوف
سعادة	حزن

فالماضي تمثل بالطبيعة الخلابة، من بساتين وأشجار ونسيم مُعطر برائحة الزهر وصوت البلبل والطيور المغردة التي تؤثر في النفس وتقشعر لها الأبدان فرحة وراحة، وفي لحظة تتقلب الأمور ويصبح هذا الجمال من الذكريات التي تكون كوخز الإبر.

ولكن هل كان هدف الشاعر البحث عن شعور السعادة الذي كان يجده مع مي؟ أو أنه يبحث عن المحبوبة التي ستكون سبباً في سعادته في حاضره؟ أو أنه يبحث عن المكان الذي جعله يشعر بالسعادة ومعه محبوبته؟.

هذا ما دفعني إلى القول بأن الشاعر لا يحن إلى محبوبة حقيقية وإنما هي رمز للحياة. رمز
للماضي الجميل الذي يتمنى الشاعر أن يعيشه مرةً أخرى. فالشاعر الفلسطيني الساحوري أنطون
الشوملي، الذي عايش الثورات والنكبة والنكسة بالتأكيد سيبحث عن الأمان في وطنه. وشعره في
الحنين ما هو إلا آلة الزمن التي ستعود بنا إلى ماضٍ طالما حلم به بأن يعود.

و حنينه في قصيدة " الذكريات " فتمثل بقوله¹:

حَدَّثْنِي عَنِ الْهَوَى حَدَّثْنِي	إِيهِ يَا مَيَّ وَاسْتَثِيرِي شُجُونِي
لَسْتُ وَاللَّهِ نَاسِيًا يَوْمَ كُنَّا	لَا نُبَالِي بِعَادِيَاتِ السَّنِينَ
نَتَسَاقَى مِنَ الْهَوَى كُلِّ كَأْسٍ	عَبَقَرِي الدَّانِ عَذْبِ الْمَعِينِ
كَمْ لِيَالٍ تَصَرَّمَتْ قَدْ سَهَرْنَا	هَا تُنَاجِي عَيْنِيكَ فِيهَا عُيُونِي
وَعَلَيْنَا وَإِنْ تَوَلَّى الرَّقِيبَا	نَ رَقِيبَانِ مِنْ عَفَافٍ وَدِينِ
نَتَنَاجَى وَلِلْفَوَادِ وَجِيبٌ	مَنْهُ أَحْشَى انْقِطَاعَ حَبْلِ الْوَتِينِ
رَدَّدِي ذِكْرِيَّاتِ عَهْدٍ تَقْضَى	فَالِإِيهِ يَا مَيَّ طَالَ حَنِينِي
ذَلِكَ الْعَهْدُ مَا أَعُدُّ مِنَ الْعُمِّ	رِ وَبَاقِي السَّنِينَ دَوْرُ الْمُنُونِ
نَهْنَهِي دَمْعَكَ الْهَتُونَ فَمَا يُجَدِّ	يَكَ يَا مَيَّ سَكَبُ دَمْعِ هَتُونِ ²
وَإِذَا مَا شَجَا فَوَادِكَ شَاجٍ	حَدَّثْنِي عَنِ الْهَوَى حَدَّثْنِي

ما زال الحنين لديه يمثل سبيل الخلاص الذي يجد فيها أمانه واستقراره وراحته، حتى ولو
كانت تلك الذكريات لن تعود، فهو مدرك تمامًا بأن البكاء والدموع لن تُعيد الوقت الذي مضى،
لذا طلب من محبوبته أن تكفكف الدمع، وألا تحزن على الماضي، بل تتذكر شعورهما في تلك
اللحظة الجميلة.

¹ الديوان. ص 272
² هتون: الدموع الغزيرة.

الذكرى أشعلت نار حنينهما، وحديثه عن الماضي جعلهما يفرحان حيناً ويحزنان حيناً آخر،
يفرحان لتلك السعادة والحب، ويحزنان على ما آلت إليه حالهما، ومع ذلك ما زال يرتقب عودة
تلك اللحظة الجميلة واسترجاع الماضي البهيج.

ويمضي في قصائد أخرى مفصلاً عن تأثير الحنين في قلبه المُغرم، والحديث عمّا يجول
في خاطره من آلام الحنين ومرض الشوق - لوطنه -، ويتجلى ذلك في قصيدته " آه ! " ¹:

من حنينٍ وعذابٍ	آه لو تعلمُ ما بي
قد دوى غصنُ شبابي	أيُّها الظَّالمُ رِفْقاً
شاعرٌ جمُّ النَّصابي	أرجفَ النَّاسُ وقالوا:
ثمَّ هُجرانُ الرَّبابِ	دأبه وصلُ سعادٍ
وبآياتِ الكتابِ	قسماً بالله ربِّي
فيهما لستُ أحابي	وبعَيْنَيْكَ وسحرٍ
غيرَ حُبِّكَ العُجابِ	لم يَدُقْ قلبي حبّاً
فيكَ يا أصلَ عذابي	أنا لا أسمعُ لوماً
صفو أيامِ الشَّبَابِ	فتعالَ اليومَ نَعْنَمُ

هنا يُفصح عن تأثير لوعة الاشتياق والحنين، ويشكو أنّ الناس ظنّوا به السوء، ونالت من
نفسه الأبية تهم الحاقدين، ويؤكد لها بالقسم بأنها الوحيدة - وطنه - في قلبه، إذ أوجعه أن تقلب
المعايير فيبعد الفلسطيني عن أرضه، في حين يتمتع المحتل الظالم بما حرم منه.

ت - شعر الشكوى

¹ الديوان. ص 261

ويقصد به " التوجع من شيء تتوء به النفس، كالمرض، والشيخوخة، والموت، والدهر.... وغير ذلك من المظاهر والحالات التي قد تعرض للشخص، فتكدر عليه صفو الحياة، ويشعر إزاءها بالهموم، وشدة اليأس"¹.

ويمكن القول إنَّ الشكوى حالة شعورية إنسانية تنشأ نتيجة مشاعر وأحاسيس مكبوتة ومثقلة بالحزن واليأس وفقدان الأمل وابتعاد المحبوب، ونتيجة لذلك كانت الشكوى دواءً لكل هذا التعب والضعف، من خلالها يُعبر الإنسان عن مكنوناته وعمّا يجول في خاطره.

وشعر الشكوى لدى أنطون الشوملي يتمثل بمحاور عدة:

1) شكوى الزمان عن طريق وصف حالته عند ابتعاد محبوبته عنه، ويلقي على الدهر تهمة هذا الابتعاد، وهو ما يجعل المتلقي في حالة من الحيرة بسبب هذا الهجر والبُعد المتكرر الذي أنهك الشاعر وجعله حزينًا كئيبيًا، يقول في قصيدته " زَفَرَاتٌ "²:

قد قضى الله أن أظلَّ غريبًا	يائسًا بئسًا حزينًا كئيبيًا
سادرًا في الهموم أخبطُ عشوا	ء أنادي فما أَلافي مُجيبا
أرقُبُ البدر في الليالي أناجيب	ه وأذري من الدُموع الصَّبِيبا
قد ألفتُ السُّهاد يا ميَّ حتَّى	باتَ منِّي على النُّعاس رَقِيبا
عَرَبَ الصَّبْرُ وأدلهمتُ ³ حياتي	بهمومٍ تنرى ضروبًا ضروبًا
قَبَّحَ الله وجهَ دهرٍ خوونٍ	قَرْنُهُ لا يزالُ إلَّا خَضِيبا
طاعنًا ويح أمَّه طَعَنَاتٍ	لا جلودًا تشقُّ لكن قُلُوبًا

¹ ظافر عبد الله الشهري، الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د.ط. السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية،

2002، ص 4

² الديوان. ص 330

³ أدلهمت: أصابه الهم والحزن بسبب عشق وما إلى ذلك.

والحديث عن الشكوى في قصائده مقروناً بإلقاء اللوم على زمانه واتهامه له بالغدر والخيانة إلى أن أصبح شاعرنا مكبل اليدين، عاجزاً عن كل شيء، وأنساه ضعفه أن لكل شيء حكمة ونصيبي، وأن أمر الله لا بد أن يكون.

(2) الشكوى من الغرام والهوى، حيث يمزج الشاعر في قصائده شكواه بين حبه وشوقه لمحبيبته وبين ظلمها وبُعدها عنه، ويطلب منها ألا تبتعد عنه، لأن وجودها معه يغنيه عن مباحج الدنيا وأي فرح آخر، يقول في قصيدته " تعالي ننعُم العُمرَا " ¹:

وَنَهْجُرُ عَالَمَ النَّاسِ	تَعَالِي نَنعُمُ الْعُمَرَا
مَنْ الْأَحْلَامِ وَالْآسِ	وَنَهْبِطُ جَنَّةَ بَكْرَا

تَعَالِي نُنْشِدُ الشُّعْرَا

وَدَاوِي كَبْدِي الْحَرَى	تَعَالِي كَفْكَفِي دَمْعِي
بَصَوْتٍ يُخْجِلُ السَّحْرَا	تَعَالِي أَسْعِدِي سَمْعِي

تَعَالِي وَاسْكُبِي الْخَمْرَا

فَقَدْ أَزْرَى بِي الْأَلَمُ	تَعَالِي هَذِهِدِي أَلَمِي
رَثِيْتُ كَمَا رَثَى الْأُمَمُ	فَلَوْ تَدْرِينَ مَا سَقَمِي

وَلَمْ تَسْتَعْذِبِي الْهَجْرَا

وَنَجْمِي بَاتَ حَيْرَانَا	أَلَمَّا تَسْمَعِي الشَّكْوَى
وَلَا أَسْطِيعُ سُلُوكَنَا	وَقَدْ لَجَّتْ بِي الْبُلْوَى

تَعَالِي أَطْلَعِي الْفَجْرَا

وَهَجْرُكَ هَذَا أَرْكَانِي	فَقَدْتُ مَبَاهِجَ الدُّنْيَا
-----------------------------	-------------------------------

¹ الديوان. ص 279

فكيف تَرَيْنِي أَحيا

وصَبِرِي عَنْكَ خَلَّانِي

تعالِي أَرْجِعِي الصَّبْرَا

لم يكتفِ هذا الشاكي المحبَّ بالحزن ولوم الزمان ووصف بُعد المحبوبة، وإنما وجد طريقة ليخفف عن نفسه ثِقَلِ الهموم والشوق، فيقول¹:

عَلَّه يَشْكُو إِلَيْكَ الْأَمَّا

هَزَنِي الشُّوقُ فَجَنَّتُ الْقَلَمَا

مِثْلُ مَا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

أَهْ مَا أَقْسَى بَعَادًا إِنَّهُ

فِي صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ كُلَّمَا

أَنْتَ ذَكَرَايَ كَزَادِي دَائِمًا

نقل مهمة الشكوى وألم الاشتياق للقلم، الذي جعله طبيباً نفسياً، علَّه يخفف عنه، فهذا البُعد الذي عصف قلبه لم يمنعه من نسيانها بل يذكرها كل صباح ومساءً، وما زال مخلصاً دائم التفكير بها.

وبمضي الشاعر في إثبات ما يعانيه من شوقٍ ولوعة، فيقول في أبياتٍ من قصيدة "أشواق"²:

أُنْسَ الْحَيَاةِ وَرَاحَتِي وَأَمَانِي

مَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ بُعْدَكَ سَالِبِي

حَتَّى جَرَعْتُ مَرَارَةَ الْهَجْرَانِ

وَأَنَا الَّذِي لَمْ يَدِرْ مَا طَعْمُ النَّوَى

حَتَّى هَوَيْتُ فَلَذَّ لِي إِيْمَانِي

قَدْ كُنْتُ أَكْفُرُ بِالْغَرَامِ جِهَالَةً

لِلْقَلْبِ شَوْقٌ يَسْتَثِيرُ جَنَانِي

مَا إِنَّ خَطَرَتِ بِخَاطِرِي إِلَّا سَمَاءُ

وَشَكْوَتْ قَلْبًا دَائِمَ الْخَفْقَانِ

وَتَصَعَّدَتْ زَفَرَاتُ صَدْرِي حُرْقَةً

وَهَوَاكَ مَزْمَارِي الشَّجِيِّ الْأَلْحَانِ

ذَكَرَاكِ أَغْنَيْتِي الَّتِي أُشْرِبْتُهَا

يُدْنِي التَّنْكَرُّ نَازِحَ الْأَوْطَانِ

فَتَذَكَّرِي صَبًّا تَتِيَّمَهُ الْهَوَى

¹ الديوان. ص 278

² م.ن. ص 273

لا شك أن شاعرنا تجرّع مرارة البُعد واكتوى بلهيب الشوق، ونالت من نفسه الآلام التي حولته إلى عليلٍ ووحيد، لا دواء لعلته إلا بالعودة والاستقرار، ويؤكد في قصيدة بعنوان " إلى الهاجر !! "، على الفكرة ذاتها، إذ يقول¹:

وأنا الذي قيّدتُ قلبي عنوةً بهواك، فارحَمَ لهفة المتلهفِ

وأنا الغريبُ فلا تَزِدْني غربةً بجفاك، كُنْ لي خيرَ حانٍ مُسعفِ

أنت السعادة إن رضيتَ وإنما كلُّ الشقاءِ إذا غضبتَ فأنصفِ

فابسمُ تُزِرُ بسماتُ غرِكَ مَسلكي وتُزِلُ هُمومي اللّاعجاتِ² وتكشفِ

استطاع شاعرنا أن يملأ قلوبنا إشفاقاً على هذا المتلهف المحب، فما إن رأى ابتسامة ثغرها حتى زالت همومه وحزنه.

لا ريب أن أنطون الشوملي حمل على عاتقه هم الوطن، ورآه في كل شيء، فاستخدم حيلة فنية ليتحدث عنه، فالسهر الذي أصابه جعله يفكر في الماضي ويللم ذكرياته، فيشعل نار الحنين والشوق، ويطير النوم ليسيطر عليه الأرق ويصيبه السقم، وفي دجى الليل وتحت وطأة الدموع، وخفقان القلب المتعب، والغربة الموحشة، يلجأ الشاعر إلى القلم على أمل أن يخفف عنه.

من خلال عرض الأبيات التي قيلت في الجانب الوجداني، نجد أنّ شاعرنا قد سار على نهج الشعراء القدماء في بيان شوقه وحبّه، من خلال توظيف أسلوب الغزل، والحنين، والشكوى، فالحديث عن أيام الصبا وذكرياته، وعن الخفقات الأولى لقلبه، ما هي إلا للوطن، فمحبوبته لم تكن طول الوقت تتمثل بـ " مي " الإنسانية الحقيقية، وإنما كانت معادلاً موضوعياً للوطن الجميل في الماضي، قبل الثورات والنكبة والتهجير.

فالحبيبة التي يتغزل فيها، إنّما تعني لديه الوطن، ويؤكد ذلك أنه يستخدم اسم " مي "، وهو اسم عربي شهير ورد كثيراً في الشعر الجاهلي.

¹ م.ن. ص 268

² اللّاعجات: لواعج الهوى هي أحزانه وأشجانه.

ثانياً: شعر المناسبات

أكثر الأشعار التي قدّمها شاعرنا أنطون الشوملي، هي نتاج قدرة إبداعية كبيرة ومناسبات واقعية أثّرت به، ويمكن القول إن شعره في هذا المبحث احتل الجزء الأكبر في الديوان، فالاهتمام بشعر المناسبات كان من " السمات التقليدية لدى الشعراء الفلسطينيين الذين اهتموا بالمناسبات الوطنية والسياسية، والاحتفالات والمهرجانات والاجتماعات في مختلف مجالاتها، واشتركهم فيها بقصائدهم وأشعارهم واهتمامهم بالأحداث التي كانت تقع في فلسطين، والتصدي لها بأشعارهم"¹.

وبالبحث في معاجم اللغة العربية نجد أن هناك تعريفات عديدة للمناسبة، ومن ذلك:

ما ورد في معجم مقاييس اللغة: " النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب سُمي لاتصاله وللاتصال به"².

وتعرف المناسبة بأنها: " ومن المجاز: (المناسبة: المُشاكلة)، يُقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب، أي مشاكلة وتشاكل، وكذا قولهم: لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة"³.

يتضح مما سبق أنّ مادة (نسب) تحمل أكثر من معنى، فهي تأتي بمعنى الاتصال والتشابك، والنسب والقربة، ومعنى المشاكلة والمثابهة.

أما المناسبة في الاصطلاح فتعرف:

بأنها "... شعر الأحداث الجارية، يتوجه بها الشاعر إلى الشعب، يتغنى معه بما يريد، ويقود وعيه لتحقيق ما يستطيع، يقوم شعره بتعبئة القوى وجمع الشمل، وتنمية المشاعر الكريمة، وتنبيه الوعي الغافل"⁴.

أيضاً هي: " الشعر الذي ينظمه الشاعر في مناسبة معينة كاحتفال بتتويج ملك، أو حدث اجتماعي أو تاريخي، وقد تكون المناسبة شخصية، كأنشودة الزفاف التي نظمها الشاعر "

¹ سعدي أبو شاور، تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط.1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003، ص 280.

² أحمد بن فارس أبي الحسن، معجم مقاييس اللغة، د.ط. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. 1979. 423 5.

³ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط. تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965، 4 / 265.

⁴ محمد غنيمي هلال. دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده. د.ط. مصر: دار نهضة مصر. 1976. ص 133

سبنسر "بزواجه، والأكثر أن تكون مناسبة أميرية كقصائد أبي تمام في المعتصم، أو المتنبي في سيف الدولة، أو أحمد شوقي في قصر الخديوي"¹.

ولكن بعض الباحثين رفضوا شعر المناسبات وذلك:

• لأنه ضعيف بطبعه، "لأن الإلهام فيه ينطبع في النفس من حوادث خارجة عنها، في حين أن الإلهام في الشعر الصحيح داخلي يصدر عن النفس ذاتها ويهتز له كل وجود الشاعر"².

• يقول الناقد محمد غنيمي هلال أن "النجاح في شعر المناسبات ليس يسيرًا، بل هو في أكثر الأحيان مقبرة للمواهب، ومزقة ينحدر بها الشعر إلى مستوى المدائح قديمًا"³، ويضيف: "وأخطر ما يتعرض له شعر المناسبات هو تناول الموضوعات تناولًا مباشرًا....."⁴.

• لأنه يغلب عليه طابع التكلف والتصنع، "..... يفقد التجربة الشعرية بريقها وقوتها، لا سيما في فن الرثاء الذي يعتمد أساسًا على العاطفة والعفوية المناسبة ولا يحتمل المجاملة"⁵. بالإضافة لكونه يفتقر إلى صدق العاطفة، فكما يعرفه جهاد المجالي: "هو الشعر الذي يسوده التكلف وتغلفه الصنعة، ويفتقر إلى الحد الأدنى من صدق العاطفة، مما يفقد التجربة الإبداعية عنصر الاستجابة النفسية ويحول الشعر إلى مهنة غايتها التكسب والتتفع من خلال اصطناع المشاعر مجاملة للآخرين"⁶.

إلا أنه يُمكن القول أن الهدف من استمراره هو محاولة الشعراء إثبات مقدرتهم الشعرية وإبرازها، أو الحصول على مكاسب معينة، أو اتجاه سياسي يهدف إلى تنبيه الشعب بأطماع الاحتلال، " فكانت معظم القصائد تُلقى في المناسبات والمحافل والنوادي والجمعيات العامة، فكان الشاعر كخطيب سياسي أو اجتماعي يُسجل الوقائع التي تمر ببلاده"⁷، والشاعر أنطون

¹ محمد التونجي. المعجم المفصل في الأدب، د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية، 1999، 565/2.

² محمد حسين هيك. ثورة الأدب، ط.3، مكتبة النهضة المصرية. 1965، ص 62.

³ محمد غنيمي هلال. دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده. ص 138

⁴ م.ن. ص 139.

⁵ صلاح حداد. على ضفاف الشعر، دراسة نقدية. د.ط. مصر: دار البستاني للنشر والتوزيع. 2004. ص 123.

⁶ جهاد المجالي. دراسات في الإبداع الفني في الشعر. د.ط. مصر: دروب للنشر والتوزيع. 2016. ص 131.

⁷ سعدي أبو شاور. تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر. ص 375

الشوملي أبدع في هذا الجانب، فنظم الشعر في أغلب المناسبات الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية.

ويمكن تعريف شعر المناسبات على أنه ذلك الشعر الذي ترتبط كتابته أو قوله في مناسبات عامة أو خاصة، سواء كانت اجتماعية، أو سياسية، أو ثقافية، أو وطنية، يحقق من خلاله أهداف معينة. أما فيما يتعلق بأهم ما يوجه إلى هذا الشعر من نقد، هو افتقاد الشاعر للصدق والعاطفة، لأنه أحيانًا يُنظم بحسب ما تتطلبه المناسبة، فنحن لا نستطيع أن نرفض شعر المناسبات وفصله عن الواقع الذي قيل فيه، ولا التعميم في أنّ كل شعراء المناسبات يتجردون من صدق العاطفة في كل ما يكتبون.

ولعل كتابات شاعرنا أنطون الشوملي في المناسبات - بخاصة المناسبات المسيحية - خير دليل على ما أقول، فهو لا ينظم الشعر لمجرد " المناسبة " نفسها، بل لأنه تأثر بها تأثرًا صادقًا، لذلك يجيء تعبيره عن تأثره وانفعاله بعيدًا عن المبالغة والأحاسيس الزائفة.

وقد تطرّق الشاعر من خلال قصائده المختلفة للمناسبات الدينية، والمناسبات الثقافية، والمناسبات الاجتماعية، وما انبثق عنها من شعر في التهنية، والتعزية، والرتاء. وهذا ما سيتم تناوله من خلال:

أولاً: المناسبات الدينية

كانت المناسبات الدينية وما زالت تشكل مصدرًا لإلهام الكثير من الشعراء لنظم قصائد تتناول موضوعات دينية متنوعة، تتعلق بالمناسبات الإسلامية والمسيحية، يتخذها الشاعر وسيلة لنشر الفضائل، والدعوة إلى التحلي بكمال الأخلاق والقيم الحميدة وغير ذلك.

والقارئ لشعر المناسبات الدينية في ديوان شاعرنا " أنطون الشوملي "، يجد أن توجهه الدائم يكون إلى الرب والمسيح، لأن فيه الخلاص والأمان والسلام.

ففي قصيدة " قيامة المسيح " ¹، يقول شاعرنا ²:

¹ إن قيامة المسيح من بين الأموات حقيقة جوهريّة في المسيحية، إذا أنكرت ذهب الإيمان كله، وبطل من أساسه، وبدون قيامة المسيح تتجرد المسيحية من كل امتيازاتها وبركاتها. انظر: فايز فؤاد. **قيامة المسيح**، د. ط. القاهرة: دار الأخوة للنشر. 2015. ص 3.

² الديوان. ص 47

وَهُوَ الْحَيَاةُ وَخَالِقُ الْأَحْيَاءِ	قَامَ الْمَسِيحُ وَتَمَّ كُلُّ فِدَاءٍ
أَقْوَى الْحَصُونِ بَغَارَةِ شَعَوَاءٍ ¹	رَبُّ الْحَيَاةِ يَدُكُ حَصَنَ الْمَوْتِ فِي
أَغْلَالِ حَوْبَةِ آدَمَ النِّكَرَاءِ	وَيَفُكُ أَسْرَى الْخَلْقِ مِنْ أَغْلَالِهِمْ
بَعْدَ الْكُسُوفِ وَدَامَسِ الظُّلْمَاءِ	نَفْضَ الْكُرَى فَإِذَا الشَّمْسُ مِنْيرَةٌ
أَعْلَامُهُ خَفَاقَةُ اللَّأْلَاءِ	فَاءَ السَّلَامِ إِلَى الْبَسِيطَةِ نَاشِرًا

يبدأها بمدح المسيح، وأنه السعادة للعالمين، فهو الذي ينقذهم ويخرجهم من الحياة الظلماء إلى حياة النور والسلام والأمان، ومن قوانين المسيح التي ذكرت في القصيدة²:

لا سِيفَ وَلَا اسْتِعْبَادَ بَلْ حُرِّيَّةَ	فِي رَحْمَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَإِخَاءٍ
وَمَحَبَّةَ الْإِنْسَانِ أَضَحَتْ شِرْعَةً	قُدْسِيَّةً فِي الْأَرْضِ وَالْعُلْيَاءِ
" أَحِبِّ قَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ " شِرْعَةً	سُنَّتٌ عَلَى الْأَحْبَابِ وَالْأَعْدَاءِ
قَدْ سَنَّهَا الْفَادِي يَجُودُ بِنَفْسِهِ	أَكْرَمَ بِهِذِي السُّنَّةِ السَّمْحَاءِ
لَا فَرْقَ بَيْنَ النَّاسِ كُلِّ إِخْوَةٍ	فِي اللَّهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

وتتجلى هذه القوانين بأن:

- وجوده حرية ورحمة ومحبة وإخاء، وليس حروب واستعباد. إذ ذكر في إنجيل يوحنا: "وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا"³.
- محبة الإنسان شيء أصبح مقدسًا، ويأخذ الشاعر المعنى من الإنجيل بقوله: " أحبب قريبك مثل نفسك "⁴، وجعلها سُنَّةَ المسيح الواجبة على الأحباب والأعداء.

¹ غارة شعواء: متفرقة منتشرة.

² الديوان. ص 47

³ إنجيل يوحنا (13 : 34). انظر: <https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=53&chapter=13&vmin=34>

⁴ إنجيل متى (22 : 39). انظر: <https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=50&chapter=22&vmin=39&vmax=39>

[takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=50&chapter=22&vmin=39&vmax=39](https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=50&chapter=22&vmin=39&vmax=39)

- لا فرق بين الناس والجميع سواسية عند الله. بهذا المعنى ذُكر في العهد القديم رسالة يوحنا الرسول الأول: "اللَّهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ. إِنَّ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَاللَّهُ يَنْتَبِثُ فِيْنَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِيْنَا"¹.

ثم يمضي شاعرنا بطرح وصايا المسيح وحواره مع تلاميذه، فيقول²:

إِنِّي سَأُصْعِدُ لِلسَّمَاءِ فَبَشِّرُوا	أُمَمَ البَسيطةِ رَافِعِينَ لَوَائِي
وَسَأُبْعِثُ الرُّوحَ المَعْرِِّي قُوَّةً	وَشَجَاعَةً لَكُمْ وَحُسْنَ بَلاءٍ
سِيرُوا عَلَى نَهْجِي وَكُونُوا قَادَةَ الـ	أَرْوَاحِ وَالْأَفْهَامِ وَالْأَهْوَاءِ
كُونُوا لِمَنْ يَسْرِي بِبَحْرِ جَهَالَةٍ	شُهَبًا تَقْوُدُهُمْ إِلَى المِينَاءِ
كُونُوا إِذَا اسْتَنْشَرَى فِسادٌ فِي الوَرَى	حِصْنًا يَقِيهِمْ شَرَّ كُلِّ بَلاءٍ
وَاهْدُوا الصِّرَاطَ بَنِي البَسيطةِ كُلَّهُمْ	وَارْعَوْا خِرَافَ كَنِيسَتِي الغُرَاءِ
سَأُظِلُّ مَا مَرَّ الزَّمَانُ مُوَازِرًا	إِيَّاكُمْ بِالقُوَّةِ العَليَاءِ
وَكَنِيسَتِي تَبْقَى مَنَارًا فِي الوَرَى	لِلْمُدْلَجِينَ بَلِيلِ كُلِّ شَقَاءٍ

وتتمثل الوصايا بأنه صاعد إلى السماء، وسيبعث لهم روح القدس التي ستمدهم بالقوة والشجاعة، ويسيروا على خطاه، ويكونوا قادة ومسيطرين على كل ما يتعلق بالإنسان من روح وإدراك وعقل وهوى وكل ما تميل له النفس، و إذا إنسان ضلَّ طريق الحق ودين المسيح، فيجب أن يكونوا له نوراً يوصله إلى النجاة، وإذا عمَّ الفساد بين الخلق، فإن تلاميذه يكونوا لكل فاسد في المرصاد.

و يُنهي وصاياهِ بالتأكيد على أَنَّهُ سَيُظِلُّ دَاعِمًا لَهُم بِالْقُوَّةِ، وَأَنَّ الكَنِيسَةَ سَتَبْقَى المَكَانَ الوَحِيدَ الآمَنَ، وَمَصْدَرًا لِلسَّلَامِ وَالْمَحَبَّةِ.

¹ رسالة يوحنا الرسول الأول (4 : 12). انظر: <https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=72&chapter=4&vmin=12>
² الديوان. ص 48

وهذا ما ذكر أيضاً في إنجيل يوحنا من محادثته مع تلاميذه: "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيَكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمْكُنَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لَا أَتْرَكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ....."¹.

وما زال شاعرنا يؤكد على أَنَّ المسيح هو مصدر الأمان وجاء بالسلام، ووجوده رحمة للعالمين، ففي قصيدة " عيدُ الفصحِ المجيدِ "، تتمثل القوة التي يستمدّها المسيحيون من المسيح حتى بعد تعرضه للصلب والتعذيب، بالحياة والنجاة من حكم اليهود الظالم، وبالرغم من كل هذا، إلا أن المسيح قام وانتصر، ويُنهى القصيدة بما يرجوه من الله، بأن يبقى هذا العيد يُكيد الأعداء. فيقول في ذلك²:

دم المسيح الأكرم	ابن الإله ابن البشر
من جسمه المعلق	فوق الصليب المرهق
دم دَبَّحْنَا النَّقِي	سلاحنا عند الخطر
في فصحننا خير وقاء	من كل شر وبلاء
فيه حياة ونجاء	من حكم فرعون الأمر

ويضيف شاعرنا³:

قام المسيح سامياً	والقبر بات خاوياً
إبليس ولَّى شاكياً	قام المسيح وانتصر
يا ربّتنا أبق دائماً	فصحا ينير العالمما

¹ إنجيل يوحنا (14 : 15 - 31)، انظر : <https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=53&chapter=14&vmin=15&vmax=31>

² الديوان. ص 57

³ م.ن. ص 58

للخاطئين راحماً لشعبك التَّاجِ الأغرَّ

وما زال الشاعر " أنطون الشوملي "، يُثبت مقدرته الشعرية في شعر المناسبات الدينية، ويؤكد في كل قصيدة على معادلةٍ مهمة، ألا وهي " السلام + الخير = المسيح "، بمعنى أنَّ المسيح هو الجالب للسلام والباعث للخير، وبوجوده تغير حال الأرض من الظلام إلى النور، وتبدل قلب الإنسان من الشر إلى الخير، وانتشرت الطمأنينة والمحبة، لأنَّ الدين المسيحي لا يفرق بين الناس فكلهم سواء.

فيقول شاعرنا في هذا الجانب، في قصيدته " ميلادُ المسيح " ¹:

وُلِدَ الْمَسِيحُ الْمُنتَظَرُ	من أَجَلِنَا نحنُ البشرُ
متأنساً من مريم	بمشيئة الروح الأغر
طفلاً صغيراً مُدرجاً	في مذودٍ قربَ البقر
متواضعاً وهو الذي	عليا السَّماءِ له مَقَرُ
لَمَّا رَأَى أَنَّ السَّمَا	ءَ وَأَرْضَنَا بجفًا سَفَرُ
فتح السماوات العلى	وهدى المَلا نحو المَمَرِ
والأرضُ أضحَتْ للسَّما	بناتاً وأدركتِ الظَّفَرُ
الأمْنُ فيها سائداً	والحبُّ أَشْرَقَ وانتَشَرَ

ويُكمل في نظمه الجميل بالكشف عن أجمل الصفات التي اتصف بها المسيح، فهو يهب القوة بأشكالها النفسية والجسدية لأمته، يساند الضعيف والبائس، ولا شكَّ أن شاعرنا في كلِّ قصيدة يعزز فكرة أنَّ الراحة والأمان والسلام تكون باتتباع تعاليم المسيح والسير على نهجه والعمل بوصاياه. يقول ²:

هذا هو الطفل الإلـ — هيُّ اعبدوه في خفر

¹ الديوان. ص 63

² م.ن. ص 63-64

هو نور أنوار الهدى هو ربُّ أرباب البشر
هو مرهم القلب الكسير ر ومن يقبل لمن عثر
هو سلوة البؤساء إن عصفت بهم أيدي الغير
هو قوة الضعفا إذا عزَّ المجير ومن نصر
هو خير هاد للضلو ل ولصدي بحر زخر
هو خير من ملك القلو ب وخير من فيها أمر
القرب منه راحة والأمن فيه والوطن

والقارئ لنهاية كل قصيدة من قصائد المناسبات الدينية، يجد أن شاعرنا اهتم بفكرة واحدة وهي " أهمية السلام في تغيير الحياة "، وهذا لا يحصل إلا بوجود المسيح، الذي يجلب الخير والمحبة والأمان، ففي قصيدة " المسيح والسلام " ¹، يقول:

يا باحثين عن السلام، وجدته إن السلام سبيله الأديان
هو في المسيح وفي هدى إنجيله هو بالمسيح، ومن غوى خسران
سيظل يوغل في الظلام ويرتمي حتى يصره به الإيمان!

ويجد في اللجوء إلى الرب، مفرًا من الظلم والعنف السائد على الأرض، ويتضرع إليه طالبًا السلام، كقوله في قصيدة " ميلاد المسيح " ²:

رب السلام أرى السلا م بذى البسيطة قد نزر
أدرك برحمتك الأنا م وق الملا من كل شر
واملاً قلوب الناس من حب سماوي عطر
فيعود الدنيا سلا م والمسرة للبشر

¹ الديوان . ص 78، 79

² م.ن. ص 64

ثانيًا: المناسبات الثقافية

المناسبات والأنشطة الثقافية في أي مجتمع لا تكون من الكماليات بقدر ما تكون من الأساسيات، وأهم داعم لبنائه، فثقافة المجتمع هي انعكاس لواقع هذا المجتمع. ولا شك أن شاعرنا لم يغفل عن نظم الشعر في أهم المناسبات الثقافية، مثل يوم الكتاب، ويوم المعلم.

ليس من الغريب أن يهتم شاعرنا بالكتاب والعلم اهتمامًا يكاد مبالغًا فيه، كيف لا وقد كان مربيًا ومعلمًا فاضلاً لسنوات عدة، محاولاً من خلال شعره أن يُبرز أهمية الكتب، ويوضح دور العلم والقلم في مواجهة الأعداء ولأنّ الشعر رسالة، اتخذته وسيلة لنقل وصاياه وتجاريه للناس ولطلاب العلم، ومنبراً يوضح من خلاله دور المدرسة.

لا ريب أن الكتاب له أهمية كبيرة لدى الدارسين والمتقنين، لكن التعبير عن أهميته عند الشاعر " أنطون الشوملي "، جاء مميزاً، فهو يضعه في موضع القداسة، فجعله كالألهة يخصه بالعبادة، وأعلى شيء عنده في الحياة، لأن هدفه إشباع عقله. فإذا كان الناس يطربون لصوت الناي والعود، فإن شاعرنا يُطرب ويُسرّ لصوت المعاني والمعرفة والعلم، وهذا ما يبينه لنا في قصيدته " عبادة الكتب " ¹ حين قال:

لا تَلْمَنِي إِذَا عَبَدْتُ كِتَابِي	فهُوَ عِنْدِي أَعَزُّ مَا فِي الْوُجُودِ
لَيْسَ هَمِّي إِشْبَاعَ جِسْمِي وَلَكِنْ	إِنَّ هَمِّي إِشْبَاعُ عَقْلٍ رَشِيدٍ
مَنْ كَتَابٍ فَصُولُهُ ضَاحِكَاتٌ	نُسَقَّتْ تَتْسِيْقَ الْجَمَانِ الْفَرِيدِ
وَمَعَانٍ أَحْلَى مِنَ الْمَاءِ وَالْخَمِ	رِ وَأَشْجَى مِنْ صَوْتِ نَائِي وَعُودِ

ويبدع في وصف ذات الفكرة في قصيدته " إلى الكُتَّابِ في يومِ الكتابِ " ² حيث يقول:

أَنَا إِنْ عَبَدْتُكَ بَعْدَ رِي كَانَ فِي	هَذِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ ثَوَابِي
مَنْ كَانَ عَبْدًا لِلْكِتَابِ فَإِنَّهُ	لَعَتِيقُ سَيِّدِ سَادَةِ الْأَرْيَابِ

¹ الديوان. ص 338

² م.ن. ص 321

لولا مخافة أن يُكفّرني الورى لحلفتُ أنك خالقُ الأبوابِ

يكفيك أن الله أوحى دينه للعالمين منزلاً بكتاب!

إنّ الرعية يوم عيدك أقبلت تُبدي الولاءَ لربّها الوهابِ

مبالغة الشاعر في تصوير أهمية الكتب في هذه الأبيات، لم تكن اعتباطية، كونه عمل في حقل التعليم، معلماً ومديراً. غير أن قوة الإنسان، ومعرفته للجوانب الدينية والعلمية والأدبية تكمن في بواطن جلود الكتب القيّمة، والسماوية التي أوحى الله بها على أنبيائه، وأراد الشمولي بيان عظمة هذا الأمر من خلال إضفاء القدسية عليها.

ولعل السبب وراء إضفاء صفة القداسة للكتاب، وجعله بهذه المنزلة العالية، هو أثر الكتاب في حياة شاعرنا، فالكتاب ليس مجرد جماداً ورقياً بقدر ما هو: دواءٌ لأوجاعه وأسقامه، منقذه من كل محنة ومشكلة تواجهه، يفتح بصيرته على كثير من حقائق الأمور، رفيقه في شبابه وشيبته، ومصدر القوة، وصديقاً مقرباً عزيزاً.

فينظم أجمل الأبيات في القصيدة ذاتها¹:

إنّ لجّ بي وصَبّ فزعتُ إليك في ثقةٍ فكنتُ مُداوياً أوصابي

أو ضاقَ صدري من عذابٍ كنتُ لي خيرَ الأساةِ لمحنتي وعذابي

أهواك يا نورَ العقولِ ومُلتقى أهلِ العلومِ ومُنْتدى الكتّابِ

أهواك يا سلوى النفوسِ وفُوتها يا صاحبي في شيبتي وشبابي

أنا إن هويتُك يا كتابُ فإنّني أهوى صديقاً عزّ في أترابي

وفي ذلك الميدان أعدّ شاعرنا " للكتاب " أبياتاً رائعة، تحدث فيها عن فوائده في بناء جيلاً عالماً، فالكتاب على اختلاف موضوعاته وعناوينه سيبقى الصديق المقرب الذي يساعدك بكلّ

¹ الديوان. ص 321

صدر رجب ودون انتظار مقابل، كما يرافقك في كل وقت، وترى نفسك من خلاله وإن تاهت نفسك منك تجدها عنده، وإذا أردت معرفة أي شيء فإنه يعلم الإجابة. فيقول¹:

كَمْ عَالِمٍ قَدْ صَارَ حُجَّةَ دَهْرِهِ	مِمَّا اسْتَقَى مِنْ بَحْرِكَ الصَّخَّابِ
أَنْتَ الْوَفِيُّ إِذَا صَدِيقٌ مَا وَفَى	أَنْتَ الْأَمِينُ بِمَشْهَدٍ وَغِيَابِ
مَا أَنْتَ إِلَّا رَوْضَةٌ غَنَاءٌ قَدْ	غَنَيْتَ بِكُلِّ أَزَاهِرِ الْآدَابِ
فَإِذَا نَشَدْتُ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا	زَوَّدْتَنِي مِنْهَا بِكُلِّ لُبَابِ
وَإِذَا بَحَثْتُ عَنِ الْفُنُونِ جَمِيلِهَا	طَالَعْتَنِي مِنْهَا بِأَوْفَى بَابِ
وَإِذَا بَغَيْتُ مِنَ الْحَدِيثِ عَجِيبَهُ	أَلْفَيْتَنِي فِي رَوْضِكَ الْمِخْصَابِ
وَإِذَا أَرَدْتُ لِيَ اللِّسَانَ مُقَوِّمًا	فَالِيَ الْكِتَابِ أَشَدُّ كُلِّ رِكَابِ
وَرَوَائِعِ الْأَمْثَالِ كَمْ عَلَّمْتَنِي	وَكَشَفْتَ عَنْهَا سَاتِرَ الْجَلَابِ
كَمْ خُطْبَةٍ غَرَاءَ قَدْ لَقَّنْتَنِي	كَمْ طَرْفَةٍ كَمْ حِكْمَةٍ وَصَوَابِ

الشاعر الحقيقي تقع عليه مسؤولية التغيير وكشف الحقائق والنصح والإرشاد، تجاه المتلقي في مجتمعه، فهو النور في الظلام، والمعين في الأزمان والشدائد، والسلاح في الحروب، ومن هذا المنطلق نجد أن شاعرنا في قصيدته التي ألقاها في " حفلة تخريج الفوج الأول من طلاب مدرسة الرّوم الكاثوليك في بيت ساحور "، يعقد مفارقة بين السيف والقلم.

لا ريب أن أساس قيام أي دولة يعتمد على " السيف والقلم "، وكوّن هذه القصيدة موجهة لفئة معينة في مناسبة محددة، جاءت المقارنة مباشرة وتتسم بالبساطة بعيدة عن التكلف واستخدام الألفاظ الغريبة.

إذا كان السيف سافكاً للدماء، فإنّ القلم هو الحياة وقاتل الجهل، فالأدب بمختلف موضوعاته هدفه تنبيه الناس لأمرٍ ما، ونشر العلم ومكارم الأخلاق بوساطة الكلام، وبالتالي

¹ الديوان. ص 319، 320

تُشرق شمس المعرفة والحرية، وحرية القلم تعني حرية الإنسان والتي تؤدي بدورها إلى دولة لا تُهزم، ولم يكتفِ شاعرنا بذكر تأثير القلم على الدولة، وإنما على الشعراء أيضًا يبقى أثرهم حيًا بعد موتهم، وهذا الأثر يُسحر من بعدهم، فيستمر جمال النظم وروائع الأوزان والنغم. فيقول¹:

إِنِّي لِأَشْهَدُ أَنَّ الْمَجْدَ لِلْقَلَمِ	ما المجدُ للسيفِ، إِنَّ الْمَجْدَ لِلْقَلَمِ
فَذَاكَ يَقْطُرُ فِي قَرِطَاسِهِ كَلِمًا	فِيهَا الْحَيَاةُ وَهَذَا سَافَكُ لِدَمٍ
كَمْ مَجَّ نَوْرًا مِنْ سَوَادِ مِدَادِهِ	فَبَدَّدَ الْجَهْلَ وَانْجَابَتْ دُجَى الظُّلَمِ
كَمْ بَيْتٍ شَعِرَ قَضَى مِنْ قَالَهُ وَمَضَى	وَقَوْلُهُ سَائِرٌ فِي الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
كَمْ كَلِمَةٍ سَحَرَتْ لُبَّ امْرِئٍ فَعَدَا	يُذَيِّقُنَا السَّحَرَ بِالْأَوْزَانِ وَالنَّغَمِ
كَمْ كَلِمَةٍ خَلَقَتْ شَعْبًا فَهَبَّ إِلَى	نَوْرِ الْحَيَاةِ فَجَلَّى ظِلْمَةَ الْعَدَمِ
وَأَنهَضَتْ أُمَّةً مِنْ بَعْدِ عَثَرَتِهَا	وَفَتَحَتْ أُنْزُنَ مَنْ يَشْكُو مِنَ الصَّمَمِ
كَمْ دَوْلَةٍ دَالَتْ مِنْ بَعْدِ مَا شَمَخَتْ	لَكِنَّ دَوْلَتَهُ مَرْفُوعَةَ الْعَلَمِ

وما زال يتمسك برأيه أَنَّ القلم أهم من السيف، وأكثر قوة وتأثيرًا، يقول في قصيدة " إلى الكتاب في يوم الكتاب " ²:

ما المجدُ للسيفِ الْجُزَّازِ وَإِنَّمَا	هُوَ لِلْيِرَاعِ وَدَوْلَةِ الْكِتَابِ
سُلْطَانُهُمْ نَوْرٌ وَحَقٌّ لَا أَدَى	بِمَدَافِعِ وَقَنَابِلِ وَجِرَابِ
إِنْ صَالَتِ الْأَقْلَامُ فِي طَرَسٍ غَدَتْ	أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ الْحَدِيدِ النَّابِي
أَوْ جَالَ فِكْرٌ فِي غِيَاهِبِ شُبْهَةٍ	جَلَّى الْغِيَاهِبَ وَاهْتَدَى لَصَوَابِ

ولا تتحقق حرية القلم ودوره في نهوض الأمم، إلا بوجود المدارس التي أكدَّ شاعرنا على أهميتها وجعل وجودها أهم من الكنائس والمساجد، ولولاها لظلَّ الجهل والظلم، فيقول¹:

¹ الديوان. ص 125

² م.ن. ص 322

قَبْلَ الْكُنَائِسِ فَلْتُبْنَ الْمَدَارِسُ إِذْ فِيهَا تُعَدُّ عَقُولُ النَّاسِ لِلنَّعَمِ
 قَبْلَ الْمَسَاجِدِ فَلْتُبْنَ الْمَعَاهِدُ إِذْ فِيهَا الصَّرَاطُ لِدِينِ اللَّهِ رَبِّهِمْ
 لَوْلَا الْمَدَارِسُ ظَلَّ الْجَهْلُ مَتَّخِذًا جَمَاعِمَ الْخَلْقِ أَعْشَاشًا مِنَ الْوَهْمِ
 لَوْلَا الْمَدَارِسُ مَا أَلْفَيْتَ ذَا أَدَبٍ يَذِيْقُكَ الشَّهَدَ مِنْ فِكْرٍ وَمِنْ حِكْمِ

وعلى هذا النسق يستعرض شاعرنا دور المدارس في محاربة الجهل، وبعد أن يُنهي استعراضه لها، يختم القصيدة بأهم الوصايا للطلاب، وأهدى لهم حل لغز رفعة وتقدم الأمة، المتمثل في ثلاثة محاور بدونها يعيش الإنسان في الوهم، وهي " الدين، العلم، والأخلاق "، فيقول²:

بِالذِّينِ بِالْعِلْمِ بِالْأَخْلَاقِ رَفَعْتُنَا وَمَنْ رَأَى سَبِيلًا أُخْرَى فِي نَدَمِ
 خُوضُوا الْحَيَاةَ بِخُلُقٍ لَا يُقَلُّ فَمَا يَفُورُ إِلَّا ذَوُو الْأَخْلَاقِ وَالْهَمَمِ
 وَكُلُّ مَنْ كَانَ دِينَ اللَّهِ هَادِيَهُ وَكُلُّ مُسْتَمْسِكٍ بِالْعِلْمِ مُعْتَصِمِ
 أَدُوا لِأَوْطَانِكُمْ حُبًّا يَشْرَفُكُمْ فَحُبُّ أَوْطَانِكُمْ مِنْ أَوْجِبِ الدِّمَمِ

ونستخلص من هذا كله أن الشاعر اتخذ من المناسبات الثقافية منبراً ليتحدث عن أهمية العلم والقلم في تحرير الإنسان من غياهب الجهل والظلم، ويوجه رسالة خاصة إلى الطلاب والشباب يكشف لهم فيها عن سر التقدم والازدهار.

¹ الديوان، ص 126

² م.ن. ص 128، 129

ثالثاً: المناسبات الاجتماعية

لا شك أن شعر المناسبات الاجتماعية ينقل لنا الحياة الاجتماعية بشتى صورها وحالاتها، وتأثيرها على الناس، ومعبراً عن شعورهم فرحاً أو حزنًا، لكن " لا يزيد عن كونه مجاملة أو مشاركة وجدانية لا ترقى إلى أن تصبح تجربة مُعاشه يعيشها الشاعر، ويُعبّر عنها كما لو أنها وقعت له بالفعل "¹.

نال شعر المناسبات الاجتماعية جانباً مميّزاً في شعر " أنطون الشوملي "، وخاض غمار المناسبة بأشكالها السعيدة والحزينة، معبراً عن أثر ذلك في وجدانه وأحاسيسه، فقد اهتم بنظم الشعر في شتى المناسبات الخاصة والعامة، وتمثّل شعر المناسبات الاجتماعية عنده في ثلاثة محاور، وهي: التهنئة، التعزية، والرتاء.

أولاً: التهنئة

يُمكن القول إنّ شعر التهنئة يُعبّر عن الحياة الاجتماعية والعلاقات بين أفراد المجتمع، والتي بدورها توضح حالة الاستقرار والتعاطف والمودة بينهم، وتتهال التهانى بينهم إذا أصابهم خير من زواج، أو شفاء من مرض، أو نجاح، أو التهنئة بقدوم مولود جديد وغيرها. فالتهنئة تكمن في كل أمر يفرح ويسر الإنسان.

اتّسع شعر التهنئة عند شاعرنا " أنطون الشوملي "، وتعدّدت موضوعاته، وهي: التهنئة بالخطوبة، والتهنئة بالمولود، والتهنئة بإبلاّل من مرض، والتهنئة بمناسبات مختلفة للكهنّة والمطران... وغيرها.

وهذا التنوع من غرض التهنئة يجعلها ظاهرة واضحة في الديوان تستحق الوقوف عندها، وإن كانت تتسم بالمجاملات حيناً، والوفاء والصدق في بعض الأحيان، وهذا ما يضيف عليها قيماً نستجليها في موضعها.

¹ عبد الله ركيبي. قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر. معهد البحوث والدراسات العربية. 1970. ص 114.

• التهنئة لكل حدث يحصل في الكنيسة

القارئ للديوان يجد شاعرنا مقرباً لرجال الدين المسيحيين، وذلك من خلال شعره الذي يدل على الانتماء للكنيسة، داعياً دوماً إلى " الوحدة الكنسية "، إذ يقول¹:

قد آن أن يجدَ النَّصارى وحدةً تَبْنِي السَّلامَ وتهدمُ التَّضليلاً

وفي موضع آخر من قصيدة نظمها " للأسقف بلترتي "، بمناسبة سيامته أسقفًا، وزيارته لبيت جالا في (24 / 10 / 1965)، يؤكد فيها على أنَّ التفرق في المذاهب ما هو إلا هدم للدين وفساد في المجتمع، إذ يقول²:

يا بلترتيَّ الشَّعبُ يَبْغِي وحدةً	كنسيَّة تُرضي الإلهَ طويلاً
وأرادَ رأساً للكنيسةِ واحداً	يرعى الخرافَ ويحفظُ التَّنزيلاً
إنَّ التَّفَرُّقَ في المذاهبِ هادمٌ	دينًا رساً في الخافقين ظليلاً
وأرى ضلالاتٍ تَفْشَتْ في الوري	تَبْغِي لدينٍ إلَهاً تَعْطِيلاً
كثرت مذهبها وعمَّ فسادُها	ومَشَتْ تَدنُّسُ أنفُساً وعُقولا
وأرى الشِّفاءَ بوحدةٍ كنسيَّةٍ	لتصُدَّ داءٌ في النُّفوسِ وبَيْلاً

وفيما يخص الكنيسة، ينظم قصيدة بمناسبة " تدشين جرسية بيت ساحور وقاعتها، وتثبيت بعض النشء والمناولة الأولى ". بدأ شعره بالترحيب والشكر بـ " بطرك القدس "، فبلد الرعاة فخورة فيه، ويفتدي كل شخص به، فهو ليس رجل دين، وإنما رجل علم وأخلاق أيضاً. إذ يقول³:

يا بطركَ القدسِ العظيمِ الشَّانِ	حيَّاكَ ربِّي خالقُ الأكوانِ
لكَ منزلٌ في كلِّ قلبٍ أوَّلُ	والقدسُ منزلُكَ الرَّفيعُ الثَّاني
أهلاً بمنْ ملأَ العيونَ بشاشةً	وأقامَ في الأبصارِ والأذهانِ

¹ الديوان. ص 70

² م.ن. ص 55

³ م.ن. ص 71

بلدُ الرُّعاةِ فخورةٌ مزهوةٌ بكَ راعياً يَحمي حِمى الرُّعيانِ

بكَ تَقْتدي، بكَ تَهْتدي، بكَ تَرْتدي حُلَّ الفَخارِ بديعةَ الألوانِ

لا زلتَ للدينِ القويمِ منارُهُ للعلمِ والأخلاقِ كالعنوانِ

لم يكن شاعرنا في هذه القصيدة باحثاً عن العلم والحرية والأخلاق في المدارس، ولكنه كان يبحث عنها في الكنيسة، والتي هي بنظره خيرُ البناء، ومنبر الحق، ولا خير في إصلاح الشباب والمجتمع إلا بها، يقول:¹

واليومَ ترفلُ في الفضاءِ جرسيةٌ سماءُ تضربُ في السما بعنانِ

ناقوسُها المطرابُ يبعثُ راحةً في القلبِ قبلَ العينِ والآذانِ

واليومَ يحتفلُ الرُّعاةُ بقاعةٍ حَفَلَتْ لها الأعناقُ بالشُّكرانِ

إنَّ الشَّبابَ بكلِّ أرضٍ قوَّةُ تَبْنِي وترفعُ رايةَ الأوطانِ

لا خيرَ في الإصلاحِ إلَّا من هُدى رأيِ الشُّيوخِ وثورةِ الشُّبانِ

خيرُ البناءِ كنائسُ فمدارسُ تشفي العقولَ ومُنْتدى فتيانِ

مَنْ شاءَ بنياناً لِيَبْنَ معاقلاً للدينِ والأخلاقِ والعرفانِ

والمجدُ يُبنى في زوايا معبدٍ مجدٌ يَتِيه على علا السُّلطانِ

ولكن هذا لا يعني رفضه وجود المدارس والعلم، ففي قصيدة نظمها بمناسبة سيامة ستّة من كهنة البطريركية اللاتينية، وأُقيمت في بيت جالا بتاريخ (6 / 6 / 1975)، يوضح أنّ لا خير في العلم إنّ لم يطبّق وينفذ على أرض الواقع، وأن يستفيد منه الإنسان، ولا خير في المدارس إذا لم تُعدّ للدين أبطالاً يطبقون تعاليم السيد المسيح وأحكام الآيات في الإنجيل، فيقول في ذلك:²

طوبى لكم طوبى! طوبى لمدرسةٍ تُعدّ للدينِ أبطالاً ميامينا

¹ الديوان. ص 72، 73

² م.ن. ص 81

مدارسُ الدِّينِ تَدْعُوكُمْ لِرَفْعَتِهَا	فَلَقِّنُوا الْخَلْقَ دِينَ الْحَبِّ تَقِينَا
وَعَلِّمُوا وَاعْمَلُوا إِنَّ الْمَسِيحَ لَكُمْ	مَعْلَمٌ جَاءَ بِالْأَعْمَالِ يَهْدِينَا
لَا خَيْرَ فِي الْعِلْمِ إِنْ لَمْ يَصْطَحِبْ عَمَلًا	وَهَلْ طَبِيبٌ طَبِيبٌ لَا يُدَاوِينَا؟
ثُورُوا عَلَى الْجَهْلِ بِالذِّينِ الصَّحِيحِ إِذَا	رَاحَ الْمَضْلُوتُونَ يَعْلُونَ المِيَادِينَا
مَنْ كَانَ يَبْغِي بِغَيْرِ اللَّهِ مَأْمَنَهُ	يَبْغِي طَحِينًا وَلَا يُجْرِي طَوَاحِينَا!

ومن هذا المنطلق نجد أن شعر الشوملي ما زال يؤكد على مبدئه الصريح بأن الحرية والتقدم لا تكون إلا بالدين وليس بالسيف المخضّب بالدماء، وشاعرنا لا يريد غير السلام الذي يتحقق باتباع أوامر السيد المسيح والانتماء قولًا وفكرًا ووجدانًا للكنيسة، ويصرح بهذه الرغبة الملحة في مواضع كثيرة في ديوانه، منها قوله:¹

يَا قَوْمُ مَا الْمَجْدُ الرَّفِيعُ لِقَادَةٍ	تَعْنُو لَصَوْلَتِهِمْ رِقَابُ عِبَادِ
مَا الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ الْمَلْطَخِ بِالدِّمَاءِ	وَالْمَدْفَعِ الْهَذَّارِ وَالطَّرَادِ
الْمَجْدُ فِي دِينِ الْمَسِيحِ وَحَبِّهِ	مَا الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ وَالْجَلَادِ
وَالْمَجْدُ فِي تَقْوَى الْإِلَهِ وَشَرَعِهِ	وَالْمَجْدُ الْعُبَادِ وَالزُّهَادِ

وقوله في موضع آخر في الديوان:²

مَا الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ الْمَخْضَبِ بِالدِّمَاءِ	ظُلْمًا وَلَا فِي صَوْلَةِ وَسْنَانِ
فَلْصِيحَةُ اللَّهِ تُرْفَعُ فِي الْمَلَا	أَبْقَى صَدَى مِنْ صِيحَةِ الْمِيدَانِ
وَالْمَجْدُ فِي الدِّينِ الصَّحِيحِ صِرَاطُهُ	الْمَجْدُ فِي دِينِ الْمَسِيحِ الْحَانِي!

¹ الديوان. ص 88

² م.ن. ص 73

ويؤكد في موضع آخر من القصيدة ذاتها أنَّ الأرض أصبحت مصلوبة ومظلومة يحكمها ذوي المطامع، نشروا شرهم بالقتل والتشريد، وتلك الأفعال هزّت كيان الشاعر، وزادت من إصراره على استنهاض همم الناس والإثبات لهم بأنَّ السلام لا يتأتى إلا بدين المحبة، يقول¹:

يا أيُّها المصلوبُ! أرضُكَ أصبحت مصلوبةً مشمولةً بهوان!

وبضيف:²

ربَّاهُ هذي الأرضُ أمستُ مسرحاً	لذوي المطامع من بني الإنسانِ
بسطوا على هذي البسيطةِ شرَّهم	بالقتلِ والتَّشريدِ والعدوانِ
وتشدَّقوا بالسَّلمِ يُجلبُ للورى!	أمن السَّلام تشدَّقُ الغربانِ؟
لا سلمَ إلَّا إن عَلتُ خفاقةً	راياتُ دينِ الله كلَّ مكانِ!
إلَّا إذا سادَ البسيطةَ شرعةٌ	للدينِ والأخلاقِ والإيمانِ
دينُ المحبَّةِ إن يسُدَّ سَعَدَ الورى	دينُ المحبَّةِ سيِّدُ الأديانِ!
لا ظلمَ لا جبروتَ بل حرِّيَّةٌ	في القولِ والأفكارِ والوجدانِ

يُمكن القول إنَّ شاعرنا أراد البدء بمهمة الإصلاح في مجتمعه، فمن الحقِّ الإشارة إلى أن بعض قصائده في المناسبات الاجتماعية - خاصة في التهنة - ليست من الضرب الذي يُحمل عليه الشاعر حملاً لمجاملة خاصة، وإنما هو شعر تحس فيه صدق مشاعره وإدراك أفكاره التي يرجو أن تصل إلى أذهان الناس.

وهناك محور آخر من قصائد التهنة التي تتعلق بالكنيسة، منها شعر التهاني لسيامة رجال الدين " الكاهن، المطران... وغيرهم"، أو تكريمهم من الكنيسة.

نظم قصيدة بعنوان " الكاهن"، بمناسبة سيامة الأب ولِيم الشُّملي كاهناً في (2 / 7 / 1972)، بدأها بمدحه ووصف شخصيته، ويميّزه عن باقي الشباب الذين يتبعون اللهو والملذات

¹ الديوان. ص 75

² م.ن. ص 74

ويتعلقون بالدنيا، ف " وليم الشوملي " ترك الأهل والصحاب، وابتعد عن متاع الدنيا، واتبع راية الصليب، إذ يقول¹:

طاهر القلب مخلص الحبيب	مُستَهَام في غير لَيْلى اللُّعوبِ
ترك الأهل والأحباء طوعاً	وانضوى تحت راية للصليب!
حقر اللّهو والملذات في الغبرا	ء في ريق الشباب الطروب
أنسه في محبة الله يعلو	كل أنس في صبحه والمغيب
بين أيديه للمسيح كتاب	هو للروح بلسم في الخطوب
فيه للقلب نشوة وعزاء	ليس للنفس مثله من طبيب!

وما زال يؤكد على مبدئه في مواجهة كل ظلم، فالدين عنده قوة وسلاح فتاك، والآيات من الإنجيل كفيلة بعلاج كل القلوب، فلا سلام في هذا العالم من دونه، إذ يقول²:

دينهم قوة وفنك سلاح	ونيوّب معدّة للوثوب
أنقذوا هذه العقول بأي	من كتاب فيه علاج القلوب
فهو شاف من كل داء عضال	ووقاء من كل شر عصب
لا سلام من دونه ولا وئام	بل خصام في عالم من كروب !

وفي قصيدة نظمها في حفلة تكريم المطران جبرائيل أبي سعدى بمناسبة سيامته أسقفًا، والتي لم تكن مجرد مجاملة عابرة، فقصيدته تتكون من خمسة محاور، أولها: فخر بلد الرعاة بابنها جبرائيل أبي سعدى، والثاني: بيان حال البلاد مع من يتبع دين المحبة، ومن يسفك الدماء، ثالثًا: مدح المطران جبرائيل، رابعًا: الدعوة إلى الوحدة الكنسية، وأخيرًا: الدعاء.

¹ الديوان. ص 50

² م.ن. ص 51

لم تكن حفلة تكريم المطران جبرائيل وسيامته أسقفًا عاديّة، فقد حضرها مسؤولون وكثير من الكهنة، فيقول الأب الياس كويتر: " جرت الرسامة في 25 حزيران 1961، وترأس الاحتفال البطريك مكسيموس الرابع الصائغ يعاونه خمسة أساقفة هم جاورجيوس حكيم، ومخائيل عساف، ويوسف معلوف، ويوسف طويل، وفيلبس نبعة"¹، ويضيف: " وقد حضره كثير من الكهنة، وموفد من قبل جلالة الملك الحسين بن طلال ومحافظ القدس، ونواب وأعيان كبار رجال الدولة وأمراء الجيش والسلوك الدبلوماسي العربي والأجنبي، ووفود من مختلف أنحاء البلاد"².

وهذا ما دفعَ شاعرنا للدعوة إلى مبادئه، واستغلال الموقف لصالحه لتوجيه الأنظار نحو واجبات رجال الكهنوت والأسقف فهم " ضمير المجتمع، يوقظ فيه القيم الغافية، ويهزّ الضمائر الغافلة، ويعلن تعاليم الحق والخلص، ويرفع الصوت ضد الظلم والجشع والإذلال والاستبعاد، لكي لا يبقى إلا الله وحده ملكًا على العقول والقلوب، ولكي يكون الإنجيل الطريق الآمن لحلّ مشاكل الناس على اختلافهم واختلافاتهم"³.

بدأ النظم بفخر بلد الرعاة بابنها جبرائيل أبي سعدى، فمدينته التي ولد فيها وينتمي إليها تهنئه بسيامته أسقفًا، وتفخر به وكأنها تنفرد عن باقي المدن الفلسطينية بوجود ابنها جبرائيل فيها والذي لم يأتِ الزمان بغيره، فيقول⁴:

هاتِ القريضَ مرتلاً ترتيلاً	وانفخِ به المطرانَ جبرائيلًا
بَسَمْتُ به أرضُ الرُّعاةِ وتَوَجَّتْ	بالغارِ رأسًا في السَّماءِ أجيلاً
هذا ابنُها الحبرُ الكريمُ سَمَا بها	شرقًا يدومُ على الزَّمانِ أثيلاً
ترنو إليه فخورةً مزهوةً	رفعتُ على هاماتها إكليلاً
فلقد سَخَا هذا الزَّمانُ لها بهِ	وبمثلهِ كانَ الزَّمانُ بخيلاً

¹ الأب الياس كويتر، المطران جبرائيل أبي سعدى. 1997. ص 34

² كويتر. م.ن، ص 35

³ م.ن. ص 48

⁴ الديوان. ص 94

وينتقل بعدها ليُبين إنجازاته من بناء المدارس والكنائس، وانشغاله في كل ما يتعلق بمصلحة لوطنه، فمرت أيام عليه صعبة جدًا، لم يذق فيها طعمًا للراحة أو الهناء، " فجال البلاد الأوروبية، ووقف فيها خطيبًا مفوّهًا يفتح لهم قلبه الواسع الكبير ويكلّمهم بصراحة عن احتياجاته، ويطلب منهم المعونة المادية والمعنوية ليُكمل مشاريعه وليُتم أحلامه الكبيرة " ¹. يقول شاعرنا ²:

يستنفذُ الجهدَ الدَّؤوبَ زمانُهُ فتظنُّهُ عن نفسه مشغولاً
يَبني المدارسَ والكنائسَ إذ بها يَبني نفوسًا للهدى وعُقولا
وإذا اعتلى في النَّاسِ ذروةَ منبرٍ يوماً حسبتَ السَّحرَ ما قد قِلا

والفخر عنده ليس بالقوم الذين يقودون الحروب، ويهدمون الحضارات، ويذلون الشعوب وحكامها، بل بالذين علّموا الإنجيل واتخذوا من دين المحبة سبيلًا للسلام والأمان، وفي ذلك قوله ³:

يا قومُ ليس الفخرُ للقومِ الألى قادُوا الجيوشَ وجَهَّزُوا الأسطولا
دكُّوا الصُّروحَ الشَّامخاتِ وغادروا وجهَ البسيطةِ صفصفاً وطُولا
وتجَبَّروا وتكَبَّروا وتنمَّروا وأذلَّ سيفُهُمُ الرِّقابَ الطُّولا
الفخرُ كلُّ الفخرِ للصَّيِّدِ الألى هدَّؤوا النُّفوسَ وعَلِّموا الإنجيلا
وشفَّؤوا نفوسَ النَّاسِ من أسقامِها ومشَّؤوا بها نحوَ السَّلامِ سبيلا
دينُ المحبَّةِ دينُهُم وشعارُهُم سلَّم يسودُّ العالمينَ طويلا

يعود للتهنئة والمدح، والإشادة بخصاله الحميدة، وصفاته الجليلة، فكان متواضعًا ومتسامحًا وزاهدًا، وأديبًا له من المؤلفات الكثير، منها: " خمسة أجزاء من الصرف والنحو، النهضة الأدبية في لبنان..... وغيرها الكثير " ⁴. فيقول ¹:

¹ كويت. المطران جبرائيل أبي سعدى. ص 48.

² الديوان. ص 95

³ م.ن. ص 95

⁴ كويت. م.س. ص 25

يا ابن الرعاة الأكرمين تحيةً لا تبتغي إلا إليك وصولا
أعطيت عزمًا صادقًا وقريحةً وقادةً والمنطق المعسولا
وعرفتُ فيك محاسنًا وشمائلًا رقتُ فبدتُ مُزنةً وشمولا
وعرفتُ فيك تواضعًا وتسامحًا وخبرتُ فيك زهادةً ونُحولا
ووقفتُ للأدب الرفيع معلمًا وأجدتُ فيه الشرح والتأويلا

وبعد كل هذه المقدمة، يصل بنا إلى هدفه الرئيس الذي يمثل غرض الشاعر، وما يريد إيصاله للناس والمسؤولين المتواجدين في حفل التكريم، - وإن كان هدفه هذا متكررًا في قصائده ويدعو إليه - المتمثل بالدعوة للوحدة الكنسية، والتحذير ممن يريدون هدمها وقتل رجالها، ويبين شاعرنا أن خطر هؤلاء لا يقتصر على الكنيسة والإنجيل، وإنما على الأديان كافة، فأخذوا يُروجون لمذهبهم المتمثل بالقتل والظلم، فيقول في هذا²:

جبريلُ إنَّ الشَّعبَ يَنشدُ وحدةً كنسيَّةً تُرضي المسيحَ طويلا

ما شاءَ إلَّا أن تكونَ كنيسةً للعالمين ولا يرومُ بديلا!
كثُرَ الألى يستعذبونَ عداها ويقتلون رجالها تقتيلا
وهُمُ العداةُ لكلِّ دينٍ حاربُ -وا القرآنَ والتوراةَ والإنجيلا
بمذاهبٍ قتالةٍ فتاكَةٍ ضربوا دُفوفًا حولها وطُبولًا
لا دينَ لا أخلاقَ لا حرِّيَّةَ يُمسي بها المرءُ العزيزُ ذليلا
قد آن يجدَ النَّصارى وحدةً تَبني السَّلامَ وتهدمُ النَّضليلا

ثم يختم قصيدته بالدعاء لوطنه بالحرية، وللملك حسين بأن يحفظه الله، وهذه الطريقة التقليدية في الشعر العربي القديم لإنهاء القصيدة، إذ يقول³:

¹ الديوان. ص 95

² الديوان. ص 96

³ م.ن. ص 97

يا ربُّ خلّص أرضنا من معشرٍ زعموا الفُراتَ بلادَهم والنَّيلا
واحفظْ لنا ملكَ القلوبِ حُسيننا من كان بالنَّصرِ المبينِ كَفَيْلا

• التهنئة بالخطوبة

لم يتوسّع الشوملي في هذا اللون من التهنئة، إذ قصره في مقطوعة شعرية بعنوان " بمناسبة خطوبة الصديق لطيف على الأنسة فدوى "، إذ يقول¹:

أفدي اللطافة في سرّ وفي علنٍ فالأنسُ يسري كمثلِ الرّوح في البدنِ
والألُ في فرحٍ والعجبُ في مرحٍ والخمرُ في قدحٍ يجلو دُجى الحزنِ
إنّ الخطيبين زادَ الله لطفَهما ليُفديانِ بما يَغلو من الثمنِ
ما زالَ دهرُهما عُرسًا يُزيّنه تاجٌ من السَّعدِ والإقبالِ واليمنِ

وصف مظاهر الفرح والسرور بخطوبة " لطيف و فدوى "، في جو بهيج وجميل بعيداً عن الحزن، والاحتفال بشرب الخمر، ويهنئ الشاعر الخطيبين ويتمنى لهما حياة سعيدة.

تعد هذه التهنئة جزء من توثيق الحياة الاجتماعية ما قبل النكبة، - نُظمت بتاريخ (17-10-1942)، إذ صور لنا حالة البهجة والفرح آنذاك.

• التهنئة بالمولود

وفي هذا الضرب من التهنئة لم يتوسّع الشوملي، فاكتمى بقصيدة واحدة بعنوان " إلى الوليدة ابتسام "، فالمواليد هم زينة الدنيا، ومبعث الفرح والبهجة، وصوّر لنا شاعرنا جمالها وبهاءها، فهي تشبه أمها " ليلي "، كالبدر في ظلمة الليل، ورائحتها أطيب من شذى الزهرة، فتجعل كل من يحملها ينسى الحزن والمرض واليأس، فيقول²:

أليلى " قد بسمتِ بلا مرأٍ فصوّرتِ ابتسامتُكِ " ابتساما "
ترفُّ طلاقةً وتفيضُ بشرًا وتُحكي أمُّها ليلي وساما "

¹ الديوان. ص 134
² م.ن. ص 124

حلفتُ وما رأيتُ لها جبيئاً	ينيرُ جبيئُها البدرَ التَّماما
وسرُّ الأمِّ طفلتها وهل من	عجيبٍ أت تُحاكيها قساما
تضوَعُ زهرةً عطراً شذاها	فتَنزَعُ السَّامةَ والسَّقاما
على قسَماتها نورٌ بهيٌّ	ينيرُ وإن دجا الليلُ الظَّلاما
تقرُّ بها العيونُ إذا تراها	تهيمُ بها على رغي هياما
فلا زالتُ بشيرَ الأنسِ دوماً	تجولُ على فمِ الدَّهرِ " ابتساما "

• التهنئة بالإبلال من المرض

التهنئة بالشفاء والسلامة تُعد من المظاهر الاجتماعية التي لها دور في توطيد العلاقات بين الناس في المجتمع، ولا ريب أنَّ التهانِي في هذا الجانب تُبين مشاعر المُهنئين وعواطفهم تجاه المريض، والدعاء له بالشفاء، وشكر الله على سلامته.

وفي مقطوعةٍ شعريّةٍ بعنوان " إلى الأخت نجلاء عازر، مديرةُ مدرسةٍ طاليطا قومي في بيت جالا "، نظمها شاعرنا يُهنئها بالشفاء. يقول¹:

نجلاء دمتِ لنا ذخراً ومفخرةً	أماً حنوئاً لها تُلقَى المقاليدُ
بالأَمْسِ كان نشيجُ الحزنِ يَخفُّنا	واليومَ طابتُ لنا فيه الزَّغاريدُ
أدْمى الجوانحَ داءٌ قد أُصِبتِ بهِ	ثمَّ انجَلَى فانجَلَتْ أَيْامُنَا السُّودُ
فالْيَوْمَ عيدانِ لا عيدٌ نعيدهُ	عيدُ الشِّفاءِ وعيدٌ فيه تجديدُ
لا زلتِ عيداً لأعيادٍ مُنَوَّرةٍ	فالعيدُ أن تسلمي ما بعدَ ذا عيدُ

جعل شاعرنا من شفاء " نجلاء " عيداً يحتفل به الناس كافة، إذ يقابل الشاعر بين الحال قبل شفائها، والحال بعد ذلك، فقد سيطر على الجميع الحزن، وأصبحت الأيام ومتعبة، ليتبدل

¹ الديوان. ص 135

الحال بشفاء " نجلاء "، وتطغى أصوات الزغاريد على نشيج الحزن، وتتفشع الأيام السوداء الصعبة، وتأتي أيام السعادة والبهجة التي جعلها عيدًا، بقوله " عيدُ الشَّفاءِ ".

• التهنئة بـ " عيد ميلاد شخص "

في هذا النوع من التهنئة يُقدّم الشعراء أجمل التهاني لمن يُصادف عيد مولده من أهله، أو أصدقائه، أو معارفه -، متمنين لهم السعادة والسلامة، وعودته عليهم بأحسن الأحوال وأتمها.

ولأنّ عيد الميلاد يُشكّل مبعثًا للبهجة والفرح، وجدّ فيه شاعرنا مناسبة لتقديم التهاني، والتي بدورها أظهرت صفات صاحب التهنئة ومحاسنه، وخاصة إن كان ذا مرتبة اجتماعية أو سياسية كبيرة، لتكون فرصة لإظهار أعماله في المجتمع.

وفي مجاملةٍ وشكرٍ كبيرٍ للأخت إليزابيث، نظم شاعرنا في مناسبة عيد ميلادها قصيدة، يصف فيها حنان الأخت إليزابيث، فتأثيرها على الطلاب والناس عميق فهي تُغذي الروح بالقيم الإنسانية والموارد الأخلاقية فهذا التأثير يبقى ويستمر، وفي نهاية القصيدة لا ينسى شاعرنا تقديم الشكر - أيضًا-، للرئيسة هيلنرْد وكل راهبة تقضي عمرها في خدمة الرّب. يقول¹:

القلبُ يرقصُ والأضالعُ تطربُ	لا غروَ فالعيدُ السَّعيدُ مُحَبَّبُ
فاليومَ عيدُ مديرةٍ محبوبَةٍ	تسبي مزايها القلوبَ وتخلبُ
الحبُّ من أَسْمَائِهَا والعطفُ من	آلائِهَا واللُّطفُ حانٍ طيِّبُ
أُمّ تغذي الرُّوحَ لا جسمًا وهلْ	روحٌ يدومُ كمثلِ جسمٍ يَعْطَبُ
أَفْضَالُهَا مقصودةٌ وخصالُهَا	محمودةٌ وحنانُهَا لا يُحْجَبُ
دُومِي لَنَا أُمًّا وخيرَ مديرةٍ	نَزْهوا بِهَا وبِهَا نلُودُ ونُعْجَبُ
والشُّكْرُ نُهديهِ بخورًا عاطرًا	لِكَ والرَّئيسةِ هِيلَنْدُ لا يَنْصَبُ
ولكلِّ راهبةٍ تُقْضِي عمرَها	في خدمةِ الرّبِّ العليِّ وتتصبُّ

¹ الديوان. ص 110

اتخذ شاعرنا من التهنة محوراً آخر وهو النظم على لسان الآخرين، فهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على المكانة التي وصل إليها، وثقة الناس به.

فهذه قصيدة " تهنة للخال، على لسان شقيقتي الأخت نؤيلي "، تحمل تعبيراً صادقاً عن مشاعر المحبة لذلك الخال، وحاول شاعرنا أن ينقل لنا ما تشعر به نؤيلي وما تريد قوله، وإن كانت التهاني والحب في قلبها أكبر من شعرٍ يُنظم، ويصور الشاعر ذلك في هذه الأبيات¹:

القلب يرقص في الضلوع ويطرب	هذا هو اليوم الذي يترقب
فترى الحبور يجرّ في تاموره	وترى به الحب الذي لا ينضب
وكان قلبي وهو مزهوّ بكم	فلك يدور وأنت فيه الكوكب
يا خال إنَّ الشعر لا يستطيع أن	يرضي شعوري فهو منه أعذب
فاقبل تهاني بنت أخت قلبها	يُملي قصائد لا تُقال وتكتب

وفي قصيدة أخرى بعنوان " تهنة تلميذات لراعي كنيسة "، أبدع شاعرنا بإثارة عنصر التشويق، وجذب انتباه القارئ، فبدأ القصيدة بسؤال وهو متعجب من حال الكون الذي يملؤه الفرح والسعادة، فكيف يكون الترح موجدًا، وزقزقة الطيور تصدح في المكان. وسرعان ما يجيب بأن سر هذا الفرح والبهجة ما هو إلا بسبب قدوم العيد، وتقدم التلميذات التهنة لراعي الكنيسة، ويكون رجاؤهن دومًا بأن يعم السلام والأمان، فيقول²:

ما لهذا الكون وضّاح الجبين	ثغره البسام ينفي الترحا
وطيور الروض فوق الياسمين	صاحات بالأغاني مَرَحًا
قد فهمنا سر هذا الطرب	إنّما اليوم لنا عيد سعيد
فتعالين رفيقاتي معًا	منشدات خير ألحان السُرور

¹ الديوان. ص 109

² م.ن. ص 130

قُلْنَ يَحْيٰٓ ١ قَدْسُ ذَا الرَّاعِي الغيورُ

وجميعُ الأهلِ دومًا بسلام

إِنَّمَا العيدُ سرورٌ في سرورٍ

فيه يَحُلُو الشَّدُو بدءًا وختامًا

نتيجة لما سبق من استعراض لأبرز ضروب شعره في التهنة، نصل إلى أن الشاعر في تهانيه تلك لم يكن هدفه المجاملة دائمًا، بل كان هدفه ما هو أعمق من ذلك، وشعره في هذا الجانب انقسم إلى محورين، أولهما: شعر التهنة على لسانه، والثاني: على لسان الآخر، ولعل السبب في أن الناس كانوا يطلبون منه نظم الشاعر، كونه يعد أهم الشعراء في بيت ساحور في تلك الفترة².

¹ في الأصل " يحيا " فعل، لكن الشاعر أراد تجاوزًا " يحي " .
² قال مجموعة من الناس (كبار السن) في نادي المسنين في بيت ساحور بتاريخ 20-9-2022 الموافق يوم الثلاثاء، ذهبت الباحثة إلى هناك، والتقت بهم، فقالت السيدة أسماء اليتيم، والسيدة مريم الشوملي، بأن شاعرنا تميّز في نظم الشعر وإلقائه أيضًا، فكان رجلاً مثقفاً، ولا شك في أنه يعدّ من أبرز شعراء بيت ساحور، وقد أجمع الحاضرون على ذلك.

ثانيًا: الرثاء

يعد من الموضوعات البارزة في الأدب العربي، والذي يُنظم لإظهار الحزن والألم على الميت، والثناء عليه، وتعداد مآثره ومحاسنه، والتعبير عن حالة الحسرة والصدمة التي أصابت أهله. وما يُصاحب ذلك من صدق المشاعر والوفاء، ومن ألطف ما قيل، هو " ما رواه الباهلي: قيل لأعرابي: ما بال المراثي أجودَ أشعاركم؟ قال: لأننا نقول وأكبادنا تحترق"¹.

واهتمام العرب به ليس عبثًا، قال أبو الحسن: كانت بنو أمية لا تقبل الرأوية إلا أن يكون رأويةً للمراثي، وقيل: ولم ذاك؟ قيل: لأنها تدل على مكارم الأخلاق². وليبيان معنى الرثاء لغويًا نجد تعريفات عديدة، منها:

رثيت الميت بالشعر، وقلت فيه مرثية ومراثي، وقد ورد جمع المرثية على مرثٍ ولم يرد جمع للرثاء³.

وما ورد في لسان العرب، مادة (رثا)، ورثى فلان فلانًا إذا بكاه بعد موته، ومدحه بعد موته هو رثاء له، ورثوت الميت أيضًا إذا بكيته وعددت محاسنه، وكذلك إذا نظمت فيه شعرًا⁴.

أما اصطلاحًا:

جعل قصيدة الرثاء مرتبطة بالمديح، تعود بالظلم على الشاعر نفسه، كونه قصيدة الرثاء قيلت في جو من الحزن والأسى والبكاء، تُعبر عن الصدق في المشاعر، إذ إنه فقد شخصًا عزيزًا كان يتميز بأخلاقه الإنسانية، إنما المدح يُمكن أن يقال مجاملةً أو تكسبًا أو صدقًا، ويكون للحَيِّ، إذ قال ابن سلام الجمحي: وأخبرني يونس بن حبيب: أنَّ التأبين مدحُ الميت والثناء عليه، قال رؤبة: " فامدحْ بلالًا غيرَ ما مُؤَبَّنٍ ". والمدحُ للحَيِّ⁵.

¹ الجاحظ، البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل. 320 / 2.

² المكان نفسه.

³ الزمخشري، أساس البلاغة. تحقيق محمد باسل عيون السود، ط. 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998، ص 154، 155.

⁴ ابن منظور، لسان العرب. مادة " رثا "

⁵ ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود شاكر. القاهرة: مطبعة المدني. 209 / 1.

فهو يُظهر التفجع، ويُبين الحسرة، مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميّت ملكاً، أو رئيساً كبيراً. وليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أن يُخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت¹.

ويعرّفه النويري من جانب التسليم المطلق بحتمية الموت، " والمرائي إنما جعلت تسليّة لمن عضّته النوائب بأنيابها، وفرّقت الحوادث بين نفسه وأحبابها، وعلمًا أنّ حادثة الموت من الديون التي لا بدّ لها من التقاضي، وأنه لا سبيل إلى الخلود والبقاء، ولا بدّ لكلّ نفس من الذّهاب ولكلّ جسد من الفناء"².

يجعل النويري من المرتبة دواءً يخفف على الشاعر من ألم الفراق، والإيمان بأنّ الموت كأسّ والجميع شاربه.

وما ورد في " المعجم المفصل في الأدب "، بأنّ شعر الرثاء " أساسه الوفاء أو السجّية، وهم يجمعون في رثائهم بين التفجع والحسرة، والأسف، والتلهّف، والاستعظام، ثم يعددون مآثر الميّت، فالمديح تعدّد لمآثر الحيّ، والرثاء تعدّد لمآثر الميّت....."³.

أما في الحديث عن أنواع شعر الرثاء، فقد قسم الدكتور شوقي ضيف شعر الرثاء إلى ثلاثة أقسام، وهي: النذب، والتأبين، والعزاء. ووردت جميعها عند شاعرنا وسأعرضها من خلال نماذج الشعر الرثائية المختلفة في الديوان، وسأتناولها بالتحليل والوقوف على معانيها المتنوعة.

¹ ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده. تحقيق: الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان. القاهرة: مكتبة الخانجي. ط.1. 2000. ص 381.

² النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق: يحيى الشامي. ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2004. 160-161 / 5.

³ محمد التونجي. المعجم المفصل في الأدب، 2 / 473.

أولاً: النذب

وهو بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيئن الشاعر ويتفجع، وينظم الأشعار يبيت فيها لوعة قلبه وحرقة، فهو لا يندب نفسه وأهله فحسب، بل يندب - أيضاً -، من ينزلون منه منزلة النفس والأهل ممن يحبهم ويؤثرهم¹.

لقد عانى الشاعر من تلك اللحظات عناءً مُراً، فهو يتحسر على فراق أحبته، ويتألم ويشكو رحيلهم عنه، و عجزه عن مُرافقتهم، ومن ذلك قصيدته (رثاء الشقيق)، التي وصف فيها معاناته وتعب قلبه من فراقه، ومن شدة وجعه يخونه الشعر في التعبير، ولكن سلواه الوحيدة التي سوف تُعينه على ألم الرحيل هي الإيمان بحتمية الموت والذي لم ينجُ منه أحد. يقول في ذلك²:

القلبُ يخفِقُ والمدامعُ تهمعُ لله ذا الدهرُ الخوونُ المُفجعُ
قد أُلِعَ الدهرُ البغيضُ بأكلنا أسدَّ هَـصُورٌ لا تَراهُ يشبَعُ
ربَّاهُ إنَّ الموتَ أهونُ مَحْمَلاً من سُمِّ ذا العيشِ الذي أَتَجَرَّعُ
عيسى فديئُكَ لو فداؤُكَ مُهْجَتِي كيفَ التَّرحُّلُ يا أخي؟ ما المَصْرَعُ؟
قد عَقَّنِي فيكَ القريضُ وخانَنِي هيهاتَ إنَّ الشَّعْرَ باكٍ مُوجَعُ
ولقد أَقمتُ حِيالَ قَبْرِكَ خاشِعاً أسقي ثَراكَ وذوبُ قلبي يَهمعُ

واستطاع أن يصل بنا إلى ذروة الألم والحسرة التي شعر بها آنذاك، إذ يضيف³:

لَمْ أَدْرِ ما معنى البكاءِ ولا الأسى إلّا عليكَ فبئسَ ما قد يَصْنَعُ
لَمْ أَدْرِ يوماً ما الفراقُ وطعمُهُ حتّى فراقَكَ إِنَّهُ لَمَرَوَعُ
أُحيي الليالي والدُّموعَ هَواطِلُ والقلبُ يَلطمُ والأنينُ مُرجَعُ

¹ شوقي ضيف. الرثاء، سلسلة فنون الأدب العربي. القاهرة: دار المعارف. 1955. ص 5

² الديوان. ص 220. 221

³ المكان نفسه.

والذي يُهدئ من روعه، ويدفعه على الصبر والتحمل، مع ما يعلمه من حقيقة الفراق المُرّة،
هو أن الموت طريق كلّ سالكه، لا ينجُ منه أحد، إذ ينهي قصيدته هذه بقوله¹:

الكلُّ واردٌ ما وردتْ من النّوى	هذا هو الخطبُ الذي لا يُدفعُ
إهنأ فقد خلّفتَ ذِكْرًا ماجدًا	والذكرُ بعدَ الموتِ عمرٌ يتبعُ
والموتُ إنّ الموتَ ضربةٌ لازِبٌ	لم ينجُ منه ماجدٌ أو أوكعُ
فسقى الإلهُ ثراكَ كلِّ سحابةٍ	وطُفَاءَ منها كلِّ عودٍ يمرعُ

وفي قصيدة أخرى تحمل العنوان نفسه (رثاء الشقيق)، وكأن شاعرنا لم يشفِ غليله
بقصيدة واحدة من مصابه بفقدان شقيقه، واستطاع في القصيدتين أن يصور خلجات ذاته تصويرًا
يشعر السامع أو القارئ بنبض الكلمة المنبعثة من القلب.

وفي قصيدته الثانية، يقف وقفة واقعية مع حقيقة الفناء، فالبكاء لن يُعيد شقيقه، ولن يغير
القدر، ولكن يحاول شاعرنا التغلب على آثار الفراق ويصبر نفسه بأنه لم يمت شقيقه في قلبه
وستبقى ذكراه الطيبة حيّة لن تموت، فيقول في ذلك²:

فدينُّكَ لو بوسعي يا أخِيَا	بروحي وهي أنفُسُ ما لديّا
وطيفُكَ ليس يبرحُ نُصبَ عيني	يُجرّعني مرارًا حنظلِيَا
ألا يا دهرُ ويحكْ ضِقتُ ذرعًا	فقد حطمتْ لي زندًا قويّا
وداعًا يا أخِيَّ فليس يُجدي الـ	بُكاءٌ ولو جرى دَمعي سخيّا
ستحيا في فؤادي لا بأرضٍ	خَوُونٍ لا ترى فيها وفيّا
سيبقى ذِكرُكَ المعسولُ حيّا	على طولِ الزّمانِ بأصغريّا

¹ الديوان. ص 221

² م.ن. ص 249

ولا شك أن الشاعر في قصده (رثاء الخال الكريم الأب زكريا الشوملي.. قبل مُوارة
جثمانه الطاهر في " 8 / 6 / 1965 ")، كان متخبطاً في مشاعره، فتارةً يستسلم لقضاء الله
تعالى، وتارةً لا يجد في الصبر راحةً ولا في الشعر مهرباً، وذلك لصداقتهما، " فكان في جلساته
مع الشاعر يتذوق شعره كثيراً ويطرب لسماعه، وكان موته نقطة تحول في حياة الشاعر وجرحاً
عميقاً في نفسه " ¹.

ويقول في ذلك ²:

يا خال ما هذا الفراق؟ سئمتنا	ما كنت تسأم صحبة الإخوان
أطيقُ يا خال الفراق معجلاً؟	ما كنت تعرفُ شرعةَ الهجران
مهلاً لأنزفَ قبلَ دفنِكَ أدمعاً	قد كنتُ أحبسُها وأنتَ تُعاني
ولكم وقفتُ إلى سريرِكَ باكياً	بالروح لا بالدمعِ الهثان
أخفي دموعَ العينِ أجزؤها فلا	تَهْمِي وإنَّ القلبَ في ثوران
دعني أطِرْ نحوَ السماءِ فأرضنا	وادي الدُموعِ ومنبتُ الأحزان
وسنلتقي في جنَّةٍ قدسيةٍ	بذوي قرابتنا وبالإخوان
فهناكَ لا دمعٌ يراقُ ولا أسى	لا فرقةٌ في حضرةِ الرَّحمان
بلِّغْ أخي عيسى التحيةَ إنَّه	في لهفةٍ وتشوُّقٍ وحنان
لا تَنسِيا في فرحةِ اللُّقيا أختاً	وشقيقةً وتذكراً أحزاني

يندب خاله بلوعة وأسى، والذي بموته ترك جرحاً عميقاً في نفسه، وبغيابه تكدرت حياته،
وإذا كان الخال قد انتقل إلى رحمة ربه في جنة الخلد، فقد بقي شاعرنا وحيداً في نار الدنيا،
ويحاول أن يتحلّى بالصبر ولكن دون جدوى، فدموعه دائماً في سيلان حتى كادت أن تتصب،

¹ الديوان. ص 242

² م.ن. ص 238

بعدما حاول أن يخفيها في فترة مرض خاله، وعلى الرغم من إيمانه بحتمية القضاء والقدر، إلا أنه تمنى الموت وأن يلقاه وشقيقه وشقيقته في جنة الرضوان.

كيف للموت أن يفصل فصلاً أبدياً بين الأحبة، ويحطم القلوب، ويذيب الأرواح، ولكن هذه حال الدنيا، فالإنسان مجبر عليها لا مُخَيَّر. حتى الشعر لم يسعفه ولم يكن له نصير، فيقول:

قالوا: السَّلَوُ! فقلت ليس بمذهبي	سلوانُ أحبابي ولا خلّاني
والصبر! أين الصبر؟ مات بموته	جَلَّ المصابُ وجُنَّ فيه جناني
لكنّا حُمَّ القضاء فلا فِدَى	كلُّ ابنِ أنثى للمنيّة دان
يا خالُ ليس الشّعْرُ يُطفئ حُرْقَتِي	النَّارُ في قلبي وفي وجداني
سأظلُّ أبكي ما جرى دَمعي وإنْ	عزَّ البُكا فبشعري المِرْنانِ
لأهمَّ صَبَرْنَا فعندك صبرُنا	حتّى اللّقاءِ بجنّة الرّضوانِ

يتضح مما سبق، أن الندب هو حزن شديد يصحبه البكاء على الميت، بعبارات تحمل من الشجن والألم الكثير، ولأنه يختص بذوي القربى أو بمن ينزل بمنزلتهم، يكون من أقوى أنواع الرثاء وأصدقها.

ثانياً: التآبين

ليس التآبين نواحاً ولا نشيجاً، بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، إذ يخزّ نجم لامع من سماء المجتمع، فيُشيد به الشعراء منوهين بمنزلته السياسية أو العلمية أو الأدبية، وكأنهم يُريدون أن يصوروا خسارة الناس فيه¹.

ويمكن القول بأنّه يهتم بذكر الخصال الحميدة للمتوفى، دون المبالغة في الحديث عن الحزن ووجع الفراق، ولكنه يُظهر ما خسرَ الناس بموته، ولعل هذا النوع يختص برثاء ذوي الجاه والسلطة ومن لهم تأثير على المجتمع، فيذكر إنجازاتهم لتبقى محفورة خالدة في أذهان الخلق جيلاً بعد جيل.

¹ شوقي ضيف، الرثاء. ص 6

استطاع شاعرنا أن ينقل لنا حالة الحزن التي عاشها أهل المتوفى بخاصة والناس بعامة، واصفًا الفراغ الذي تركه هؤلاء الرجال، مشيرًا على علو مكانتهم، فجعل منهم نجومًا لامعة في أفق الذاكرة.

في قصيدة عن الملك " فيصل بن الحسين "، ذكر فيها مكانته الغالية في نفوس العرب، ووصف الحزن والتأسف على فقدانه، يقول¹:

نبأ سرى كالبرق في البلدان	فتزلزلت وتصدعَ الحرمان
عمّ الأسى فبُكلِّ عينِ عبْرَة	والكونُ بالعبراتِ كالطُوفانِ
فكأنما للدهرِ ثأرٌ عنده	وكأنه والدهرُ في ميدانِ
يا دهرُ ما لكَ ثائرًا في أرضنا	تسْطُو بلا خوفٍ على التَّيجانِ
تالله لو كنتَ امرأً يخشى الوغى	لرَمَاكَ فيصلُ حدَّه بهوانِ

وبمضي الشوملي في مرثيته، فيقول:

يا فيصل العرب الذي قلَّ الردى	حدًا له أقسى من الصوانِ
الله يشهدُ والمسيحُ وأحمدُ	أنَّ المصابَ أصابَ كلَّ جنانِ
قد كنتَ حيًّا في الورى ذا هيبةٍ	ولأنتَ أهيبُ داخلَ الأكفانِ
يا خادمَ العربِ الكريمِ تحيةً	عبَّاقةً لثراكَ كالريحانِ
إن كان غيرُك للمكارمِ هادمًا	قد كنتَ للعلياء خيرَ الباني
علَّمتنا حُبَّ البلادِ وإنَّه	حُبُّ سماويٍّ من الإيمانِ
أوصيتنا بمحبَّةٍ أخويَّةٍ	وبوحدةٍ عربيَّةٍ البُنْيَانِ
لولا التَّقَرُّقُ لم نكنْ في أرضنا	نُسْقَى كؤوسَ العارِ والخذلانِ

¹ الديوان. ص 230

إِنَّ التَّفَرُّقَ لَمْ يَسُدْ فِي أُمَّةٍ إِلَّا غَدَتْ تُثْنِي بِكُلِّ عَنَانٍ

في هذا المصاب الجلل، فقدت الأمة مقومًا مهمًا من ركائز نهضتها وحريتها، فاهتم شاعرنا ببيان انعكاسات حالة الفقد الذي اهتزت له الأرض، وحجم الفراغ الذي تركه بعد رحيله، فظهر الشعر باكيًا على الملك الراحل، ليبهرن على مكانته الكبيرة في القلوب، إذ تجاوزت حدود المكان، لتشمل البشرية بأسرها.

وأشاد الشاعر بمناقب الملك - رحمه الله -، وإنجازاته لخدمة أمته، وإحياء مجدها، والحفاظ على إرثها وحضارتها، واهتم ببيان نسبه الهاشمي، وسعيه الدؤوب لتحرير الأمة، ودعوته إلى " الوحدة العربية "، التي من شأنها أن تحفظ حقوق الأمة، وتنهض بها من عثراتها، وينادي بحب البلاد والدفاع عنها. فإذا غاب جسدًا، لم يغيب روحًا، وذكرًا طيبًا، وسيرة حسنة.

كما رثا فؤاد سعد¹ في قصيدة بيّن فيها مناقبه وصفاته التي لن ينساها الناس أبد الدهر، يقول²:

قد قضى مَنْ كان للجود أبًا	فاندبوه وليلن قلب الجماد
قد قضى مَنْ كان حرًا ماجدًا	يخدم الأوطان لا يخشى الأعادي
كم له من مكرّمات جمّة	عطرت هذي الروابي وأياد
فالمعالي إثره باكية	ترسل الشكوى حنينًا لـ " فؤاد "
عوّض الله تعالى أُمَّةً	فقدته كلّ عزم للجهاد
أسبغ الله على أنجاله	وذويه خير صبرٍ مُستزاد
وإذا مات " فؤاد " أسدًا	قله خمسة أشبالٍ شداد
ولنا فيهم عزاء صادق	ولهم من ربهم خير عماد

¹ كان من أكبر شخصيات وأثرياء قرية ترشيحا في الجليل وشمال فلسطين قاطبة، وحين وفاته كان الشاعر مدرسًا في قرية الرامة، وله من العمر عشرون عامًا. انظر: الديوان. ص 215

² م.ن. ص 214. 215

إذا كانت الوفاة تعني غياب الجسد عن الدنيا، فإن فؤاد سعد لم يغيب بسيرته وذكره العطر،
فقد كان كريماً حرّاً يخدم وطنه بكل ما هو نفيس.

وفي مرثية أخرى لـ ناجي العرجا¹، عبّر فيها شاعرنا عن حزن فلسطين إثر هذا المصاب
الجلل، وذكر من خصاله الحميدة من كرم وإحسانٍ و شجاعة الرأي السديد، ومن ذلك قوله²:

بيت جالا جئتُ أذري دمعاً	لفقيدٍ لكٍ مقدامٍ جوادٍ
دمعاً من بيت ساحورٍ إلى	بيت جالا وهَي في ثوبِ الحدادِ
يا فلسطينُ غداً إن تذكّري	من مشى يرفعُ أعلامَ الجهادِ
فاسكُبي الدَّمعَ على " ناجي " فما	كان إلا للجمي خيرَ عمادِ
فأذكّريه إن في الذّكرى شذا	رحمةً تندی وزاداً أيّ زادِ
لك من بيض الأيادي عَقَبْ	مرّتجى ذكرهم قطرُ الشّهادِ
بهم تحيا طويلاً في الوري	إن قضى غيرك من أهل الفسادِ

وبمضي شاعرنا على هذا النسق، برثاء أهم رجال المجتمع وشخصياته، فهؤلاء الذين باتوا
شهباً لامعة في أفق الذاكرة، وبرحيلهم أظلم أفق العدل، والحرية، وبناء المدارس والكنائس
والمؤسسات المجتمعية، ومن ذلك قوله في قصيدة " في الذكرى العاشرة لوفاة مثلث الرحماتِ
المطران جبرائيل أبي سعدى، بمناسبة إقامة نُصبٍ تذكاريٍّ للفقيد في مسقط رأسه بيت ساحور "،
يذكر فيها أعماله وصفاته الحسنى، فهو " ابن للشعب، أحسّ كثيراً بآلامه وبؤسه، وحزّ في قلبه
أن يرى مظلوماً أو فقيراً " ³.

الإنسان والمباني و الأرض، كلها شاهدة على إنجازاته وتبكي على فراقه، إذا كان يردد
وصيته " أحسن إلى الفقير حتى يحسن الله إليك "، فقال الأب الياس كويتر: " وكم مرّة سمعناه

¹ كان مختاراً في بيت جالا حتى وفاته، وكان رجل إصلاح، ومن شخصيات منطقة بيت لحم البارزين. وهو أيضاً والد الشهيد جايل العرجا، والذي استشهد أثناء القيام بواجبه الوطني في عملية مطار عنتيبي في أوغندا في (4 / 7 / 1976)، أثناء اشتباكهم مع رجال الكوماندوز الإسرائيليين. توفي في (5 / 3 / 1964)، انظر: الديوان. ص 219

² م.ن. ص 218.219

³ كويتر ، المطران جبرائيل أبي سعدى. ص 41.

يردّد علينا هذه الوصيّة، وكان هو أوّل العاملين بها. فقبل الشروع بأي عمل خيري، وقبل المباشرة بمشاريع البناء، من كنائس ومدارس، كان يتصدّق على الفقراء، وكان الله يجزل له الهبات والتبرعات¹، فيقول شاعرنا في هذا الجانب²:

كان المحامي يبغي الحقّ ينصره	إنّ عزّ في نُصرة الحقّ المحامونا
محبةً الله والإنسان ديدنهم	كم قرّبوا لهما طوعاً قرابيناً
تبكيك ممّا عيون طالما كُحلت	بنور طلعتك الوهاج يهدينا
كنائس الله تبكي اليوم شائدها	إنّ المدارس تبكيه وتبكيها !
هذي الرُبوع على نعماك شاهدة	أقمت فيها الهدى والعلم والديننا
كم ليلةٍ بتّ في ظلماء حالكة	تضيءُ حالكا درساً وتدويننا

وبُضيف:

دعاكَ ربّي لهذا الدين تنصره	وقد أجبت فقال الدينُ " آمينا! "
كنتَ المنارة بين الناس تُرشِد مَنْ	ضلُّوا السَّيْلَ وفي الظُّلُماءِ يسروننا
وكنْتَ طبّاً بداءِ النَّفسِ تُبرئُه	بمرهمِ الحبِّ والإيمانِ تُأسونا

ثالثاً: العزاء

يعرف العزاء بأنه: " من أكثر ما تكلم فيه الناس، لأنه لم يَعْرِ أحدٌ من مصيبة بحميم، ذلك قضاء الله على خلقه، فكلُّ تكلم إمّا متعزياً أو مُعزياً، وإما متصبراً محتسباً³، وبضيف المبرد: " والعزاء هو السلو، وحسن الصبر على المصائب...."⁴.

¹ كويت، م.ن، ص 66

² الديوان. ص 243. 244

³ المبرد، التعازي والمراثي. تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. د.ت. ص 42

⁴ المبرد، م.ن، ص 45

العزاء مرتبة عقلية أعلى من مرتبة التأبين، يتجه الشاعر إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة، وقد ينتهي به هذا التفكير إلى معانٍ فلسفية عميقة، فإذا بنا نجوب معه في فلسفة الوجود والعدم والخلود، ومردُّ هذا كله أن الحياة ظل لا يدوم¹.

لجأ شاعرنا إلى التعزية ليخفف عن مصابه الجلل، وعن وطأته في نفسه ونفوس الآخرين، وانقسم شعره في العزاء إلى اتجاهين من ناحية المخاطبين بهذا العزاء:

أولاً: اتجاه عزى فيه نفسه والأمة جمعاء من رحيل شخصية مهمة ومؤثرة في المجتمع. أو رحيل شخص عزيز على قلبه.

فمهما وصل به من الحزن أشده، ومن الألم أعمقه، ومن الدمع أغزره، إلا أن الشوملي مؤمنٌ بحتمية الموت، وأن الحياة لا تدوم، والبكاء لا يُرجع الراحلون، فهم في وطنٍ ثانٍ مخلصين فيه، يلتقون مع الأحبة والأقارب، فأبدع شاعرنا في تصوير ذلك في مراثية عزى فيها نفسه أولاً ثم المجتمع بوفاة خاله الأب زكريا الشوملي، إذ يقول²:

وطوى الردى مجدي وحطم مهجتي	وهوى فؤادي طعمة الأشجان
لا كان قلبي إن نسيك ساعة	وسلوتُ ذكرك ما جرى المَلَوَانِ ³
الله يعلم أن موتك في الحجى	والعلم والآداب والأديان
من للكنائس والمدارس والعلى	من نرتجي لمجالس العرفان
يا خال حيٍّ أحبةً عنا مضوا	واذهب إلى " الوطن الحبيب الثاني "
فهناك تخذُّ هانئاً لا في الثرى	ما ناحَ إنسانٌ على إنسانٍ
ولئن تغبَّ جسمًا فروحك خالدٌ	في السَّمعِ والأبصارِ والأذهانِ

¹ شوقي ضيف، الرثاء، ص 6

² الديوان، ص 238-241

³ الملوآن: الليل والنهار، أو طرفا النهار.

وفي كل مرة يبدأ فيها شاعرنا بالجزاء، فإنه ومن شدة الحزن - خاصة في رثاء شقيقه - يتحول الجزاء إلى بكاء و تمنى الموت، حتى تعود نفسه إلى رشدها، ويعود إيمانه بأن لا شيء مخلد في هذه الدنيا، فيقول¹:

رَبَّاهُ إِنَّ الْمَوْتَ أَهْوَنُ مَحْمَلًا	من سُمِّ ذا العيشِ الذي أَتَجَرَّعُ
لَمْ أَدْرِ يَوْمًا مَا الْفِرَاقُ وَطَعْمُهُ	حَتَّى فِرَاقَكَ إِنَّهُ لَمَرْوَعُ
أُحْيِي اللَّيَالِي وَالْذُّمُوعَ هَوَاطِلُ	وَالْقَلْبُ يَلْطُمُ وَالْأَنْيُنُ مُرْجَعُ
لَوْ أَنَّ فِي صُلْدِ الْحَجَارَةِ حُرْقَتِي	كَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْجَوَى تَتَصَدَّعُ
يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَى شَقِيقِكَ أَنْ تُرَى	مَا فَوْقَ أَعْوَادِ الْمَنِيَّةِ تُرْفَعُ
الْكُلُّ وَارِدُ مَا وَرَدَتْ مِنَ النَّوَى	هَذَا هُوَ الْخَطْبُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ
وَالْمَوْتُ إِنَّ الْمَوْتَ ضَرْبُهُ لَازِبُ	لَمْ يَنْجُ مِنْهُ مَا جَدُّ أَوْ أَوْكَعُ ²

ثانيًا: اتجاه عزى فيه نفسه و ذوي المرثيين وأبناءهم.

وما يدل على قدرة شاعرنا الشعرية التي يتمتع بها، أنِّ مرثيه الخاصة والعامة انبثقت من الوجدان بدوافع أخرى داعمة، وعلى رأس تلك الدوافع دافع اجتماعي ألحَّ على الشاعر من منطلق الهمِّ المشترك، وتقديم المواساة والدعم للغير.

وله من أبيات الجزاء ما يُصبرُ ذوي الفقيد وأحبابه ويواسيهم مخفِّفًا مصابهم، ويعزيهم في رحيله عن دنياه، فجعل من مرثيه حيًّا في الدنيا ذكرًا وسيرة طيبة، وفي الآخرة مُخلدًا في جنَّة الرحمن يتمتع بنعمها، فيقول في قصيدة لرثاء " فؤاد سعد "³:

¹ الديوان. ص 220. 221

² أو كع: قليل الخير

³ الديوان. ص 229

صَبْرًا أَنْجَالَ الْفَقِيدَ وَآلَهُ إِنَّ الْفَقِيدَ بِحَضْرَةِ الرَّحْمَانِ

فَلَمْ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُنْعَمٌ فِي جَنَّةٍ لِلْخُلْدِ وَالرَّضْوَانِ

يَحْيَا حَيَاتِيهِ: خُلُودًا فِي الْوَرَى وَخُلُودَ فَرْدُوسِ الْإِلَهِ الْهَانِي

وفي موضعٍ آخر من قصيدة يرثي فيها " جُوزيف صَافِيَة " ¹، ويعزي أهله بقوله " الصَّافُونَ ²، إذ يقول ³:

أَيُّهَا الصَّافُونَ صَبْرًا أَجْمَلُوا مَا نَجَتْ نَفْسٌ دَنْتُ مِنْ أَنِهَا

كَانَ " جُوزيفُ " وَرِيَّ دُرَّةً عَادَتْ الْيَوْمَ إِلَى أَوْطَانِهَا

كلما علا قدر الميت ومكانته، زاد أسى الأهل وحزنهم، ويخاطب الشاعر أهل الفقيد، ويدعوهم للصبر، ويخفف عنهم بأن كل نفس ذائقة الموت ولو بعد حين.

الشعر الوطني

من واجبات الشاعر على قومه وأمته أن يعكس في شعره حالها - في السلم أو الحرب - وهمومها وإنجازاتها و الجوانب المتعلقة بها كافة، وقد يؤول به شعره أحيانًا إلى السجن أو التعرض للقتل والاعتقال، ومحاولة السلطات الفاسدة بإسكاته عن قول الحق، على نحو ما حدث مع العديد من الشعراء الفلسطينيين والعرب.

على الرغم من ذلك، ما زال الشعراء الفلسطينيون والعرب ينظمون الشعر لتنبية الأمة بالمخاطر التي ممكن أن تحدث لها، بدءًا من العثمانيين وصولًا للاحتلال الإسرائيلي.

وما زالت القومية العربية حُلْمًا يراود العرب في كل وقت، ويشغل بالهم وفكرهم، فوحدتهم هي القوة التي تقف في وجه محاولات غير العرب من السيطرة عليهم وعلى خيرات بلادهم وطمس ثقافتهم وتزوير تاريخهم.

¹ وقد تُوفي غرقًا في البحر بتاريخ (8 / 9 / 1941). انظر: المكان نفسه.

² يريد الواقفين في استقبال المعزين.

³ الديوان. ص 248

و نال الحديث عن الوطن قسطاً وافراً، وحيزاً كبيراً في الشعر العربي في كل عصر، فيتغنّى الشاعر بأمجاد الماضي، ويفتخر بوطنه ويريد الحرية والاستقلال لشعبه، ويثور على الواقع، ويهتف للنضال والثورة من أجل أن تتحقق المطالب الشرعية.

وهذا حال كل إنسان سواء كان في رحم الظلم والاحتلال، أم خارجه مغترباً، ففطرة الانتماء لا تزال في قلوبهم راسخة، وهذا الذي أدركه الشعراء في العصر الحديث، بخاصة ممن عانى مرارة البعد قسراً عن وطنه.

تعددت موضوعات الشعر الوطني في الديوان، لنتوع الأحداث وتغير الظروف التي مرت بها فلسطين على مر العصور، وخاض الشاعر هذا المضمار ببسالة وشجاعة، فكانت قصائده تعالج موضوعات تاريخية قديمة وحديثة، فتحدث عن معركة حطين، وقوة القائد صلاح الدين في الميدان، وأدان الحملات الصليبية، فيقول¹:

نصرٌ على نصرٍ بسيفك يقطفُ	لله دركٌ في الوغى يا يوسف
عنّتِ الفرنجُ لحكم سيفك مُصلناً	ولهم فرائضُ راعداتٍ رُجفُ
ما إن سللتَ السيفَ أبيضَ مشرقاً	إلا غداً من أرجوانٍ يرعفُ
سلّ سهل حطين إذا احتدمَ الوغى	أنّى صلاحُ الدين قام يطوفُ
والموتُ قد أبدى النواجذ عابساً	والشمسُ يحجبها القتامُ ويكسفُ
فرقتَ جمعهم بعزمٍ صادقٍ	وفللتَ جيشهم خضماً يزحفُ
وجيوشهم تترى وفي جناباتها	تترى مناياهم وثمة تعصفُ
وقبضتَهم قبضاً إليك مُعجلاً	ونثرتهم وبك المنيا تشرفُ

يعد انتصار صلاح الدين في معركة حطين من أعظم الانتصارات، التي استطاع بها أن يهزم الصليبيين شر هزيمة، وفي الأبيات السابقة تبين احتدام المعركة واشتداد القتال، والذي بشأنه غطى نور الشمس، فكان سيف الأيوبي متعطشاً للدماء، وراغباً في الحرية.

¹الديوان. ص 42

ليس هذا وحسب، بل أدان الشوملي استبداد الأتراك، والذي تمثل بـ:

أ- رفض الظلم والتمييز الذي يمارسه الترك ضد العرب، يقول¹:

وجاءَ التُّركُ تتفضُّ مُدروبيها² وجاءتْ دولَةُ المُتَكَبِّرِينَا
فضيماً في البلادِ الظُّلمُ حتَّى أُذيقَ العُربُ مطعمَهُ المُهِينَا
بنو عثمانَ كمُ سَفَكُوا دماءَ شكَّتْ لله ظلمَ السَّافِكِينَا
طُردنا من مَواطنِنَا عبيداً وأمضينا على مَضضٍ قَطينَا⁴³

يصف الأتراك بالمتكبرين المتعطرسين، وأنهم أذاقوا العرب الذل والهوان، فما قام به الترك تجاه العرب لم يكن بالشيء الهين، من ظلم وسفك للدماء والإهانة، بعدما كانوا العرب السادة والحكام أصبحوا عبيداً في ديارهم، ويحاول الشاعر إظهار ذلك في القصيدة وبيان الظلم والتمييز الذي تعرض له العرب.

ب- إذلال اللغة العربية وإهانتها، فيقول في هذا⁵:

أذلُّوا الضَّادَ وَهِيَ لِسَانُ دِينٍ قَدْ اتَّخَذُوهُ إِذْلالاً مُبِينَا
فأمسى كلُّ ذي لِسَنِ عِيّاً وصارَ العالمونُ الجاهِلِينَا

وما زال شاعرنا يكشف لنا سياسة الترك ضد العرب، والتي تمثلت في هذا الجانب من إهمال اللغة العربية " لغة القرآن "، وجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية، أو ما يُعرف بـ " سياسة التتريك "، ولا ريب أن اتباع هذا النهج من السيطرة، وغيرها من الأسباب، أدى إلى بداية التذمر العربي من الحكم التركي، وهو ما دفع إلى نشوب الثورة العربية الكبرى.

ت- تصوير التعذيب الذي مارسه الترك، فينظم شاعرنا⁶:

وَقَرَحَتِ المَتونَ لَهُمُ سِياطٌ أَبَتْ إِلاَّ جلوداً يَشْتونَا

¹ الديوان. ص 31. 32

² مهدوا

³ الخدم والأتباع

⁴ الديوان. ص 33

⁵ الديوان. ص 33

⁶ م.ن. ص 32

وَأَعْوَادُ الْمَشَانِقِ عَلَّقُوهَا لِأَحْرَارٍ أَبَوَا ذُلًّا وَهَوْنًا

فَكَمْ عَذَبَ الْعَذَابُ بِفِي شَهِيدٍ يَرَى الْحَرِّيَّةَ الْحَمْرَاءَ دَيْنًا

يعرض لنا مشاهد الإجرام والتعذيب، الذي تعرض له العرب من جلد بالسوط، والإعدام، وعلى الرغم من ذلك، إلا أنَّ العذاب أصبح عذابًا، لأن دم الشهداء الأكرمين يفتح سبل الحرية، فهذا الهدف الذي يتصارع عليه الأحرار والطغاة.

عندما بدأت الثورات العربية، مثل ثورة الشريف حسين على الأتراك، رأى الأدباء أنه يجب أن يشاركوا في هذه الثورة ضد العثمانيين بأدبهم، فأنْتَجَوْا أدبًا جديدًا، ويقول في هذا إحسان عباس في الموسوعة الفلسطينية (الأدب في ظل الدولة العثمانية): ظل السلطان العثماني محور المدائح، وظل الأدب يتجه اتجاهًا دينيًا في ضروب من التكلف والصنعة والألغاز والأحاجي حتى انطلاقة الثورة العربية، فبدأ يتغنى بالقومية والوطنية¹. فيقول شاعرنا²:

وَأَرْسَلَ رَبُّكَ الرَّحْمَنُ فِينَا حَسِينَ الْعَرَبِ أَوَّلَ ثَائِرِينَا

فَأَطْلَقَ عَزَمَهُ فِي الْعَرَبِ عَزْمًا يَجْلُجُلُ فِي صَدْرِهِمْ مَكِينَا

إلى جانب نظمه قصيدة عن الثورة العربية الكبرى كما وضحناها سابقًا، نظم قصيدة بعنوان (ثورة رشيد الكيلاني على الإنجليز في الحرب العالمية الثانية)³، فعرض في قصيدته فكرتين وهما:

• عدم الاستسلام، فالنصر قادم لا محالة، فيقول:

وَقُلْ لِلْقَوْمِ لَا تَأْلُوا جِهَادًا فَلَيْسَ النَّصْرُ عَنْكُمْ بِالْبَعِيدِ

وَلَا تَخْشَوْا عَدُوًّا مُسْتَبَدًّا يَنْكُلُ بِالْمَسْنِ وَبِالْوَلِيدِ

وَلَا يَغْرُرُهُمْ أَنَّا قَلِيلٌ فَأَهْلُ الْعَزْمِ لَيْسُوا بِالْعَدِيدِ

¹ إحسان عباس. الأدب الفلسطيني قبل 1948، حركة الشعر. موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 1997. ص19.

² الديوان. ص 32

³ م.ن. ص 16

يركز على استمرارية الجهاد لنيل الحرية وتحقيق المطالب، فليس النصر بالعدد وإنما بالشجاعة والإيمان بأن النصر لصاحب الحق.

• بيان ظلم الإنجليز واستبدادهم، إذ يقول:

نُعاني من تسلُّطه بلاءً وتقتيلًا ورسفًا في القيود
فلسطينُ الجريحِ اليومَ ترجو خلاصًا منهمُ ومنَ اليهود

يستهن الشوملي الصمت العربي، و رغم معرفته بمنزلة ومكانة الأمة العربية، إلا أنه حزين على ما أصاب العرب من غفلة واستسلام، فهو يرى الحل بالوحدة العربية، ولدعم فكرته استخدم أسلوب الاستفهام الذي يفيد الاستبطاء، فيقول في ذلك¹:

متى ينهض الشرقُ النُّومُ من الكرى ويُبصرُ بحرًا من أذى مُتفاقم²
متى يحطمُ الشرقُ الذليلُ قيوده ويسعى فلا تتنَّيه ضربةُ حاطم³
فيا قومُ إنْ تصبُّوا لمجدٍ مؤثِّلٍ فبالوحدةِ الكبرى طلابُ المغانم

وقوله في هذا الجانب أيضًا⁴:

نحنُ نبغي محبةً واتِّحادًا قد مللنا من الشَّقِّيقِ شِقاقا
نحنُ نسعى لوحدةٍ تتجلَّى في فلسطينَ إخوةَ ورفاقا

ولا ريب أن بالوحدة سيظل العرب سادة الدنيا، وهذا ما أكده شاعرنا بقوله⁵:

وظلنا سادةَ الدنيا إلى أن تفرَّقَ شملنا فرقا مئينا

¹الديوان. ص 27

²متزايد

³الراعي العسوف العنيف

⁴الديوان. ص 19

⁵م.ن. ص 31

وعرض الشوملي قضية أخرى، وهي العملاء والسماصرة، عند دخول أيّ عدو للبلاد، فإن أول شيء يفعلوه، تجنيد أصحاب الضمائر الميّتة لصالحهم، سواء لنقل الأخبار أو لبيع الأراضي، وهذا ما تنبه له الشعراء. فيقول في هذا¹:

نِمْنَا وَمَا نَامَتْ عَنَّا أَعَادِينَا	وَأَطْلَقُوا مَالَهُمْ يَغْزُوا أَرْضِينَا
يُعِينُهُمْ مِنْ بَنِي قَوْمِي سَمَاسِرَةٌ	بَاعُوا الْحَيَاءَ فَأُضْحُوا لَا يُبَالُونَا
مِنْ كُلِّ وَغْدٍ لَنَيْمِ النَّفْسِ مَا كَرِهَا	يَبِيعُهُمْ وَطَنًا أَوْى النَّبِيِّنَا
لَمَّا عَرَفْتُهُمْ أَقْسَمْتُ أَنَّهُمْ	لَا يَعْرِفُونَ لَهُمْ رَبًّا وَلَا دِينَا
قُلْ لِلَّذِينَ أَرَانَا اللَّهُ خِسَّتَهُمْ	كُشِفَ الْغَطَاءُ وَمَا أَنْتُمْ بِنَاجِينَا
لَسْتُمْ سِوَى عُصْبَةٍ ذُلَّتْ نُفُوسُهُمْ	أَقَامَكُمْ مَالُ صَهْيُونِ شِيَاطِينَا

فيقول²:

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ ابْنِ عَقُوقٍ	يَخُونُ الْبِلَادَ لَنَيْلِ الثَّرَاءِ
يُعِينُ الْيَهُودَ لَنَيْلِ الْعَهْدِ	وَيُدْعَى الرَّعِيمَ فَيَا لِلْبَلَاءِ
وَيَمْشِي فَيَشْمَخُ أَنْفُ الْأَبِيِّ	يَكَادُ يَمْسُ عَنَانَ السَّمَاءِ

وما أصعب أن يضيع الحق بسبب الجهل والطمع، فيقول في ذلك³:

متى يدرك الشرق الغيب حقوقه وقد باعها بالجهل قبل الدراهم

ويكرر الفكرة في المقطع الذي يليه، بقوله⁴:

متى يشتري العرب الذي من تراثهم أضاعوا بجهل قبل قبض الدراهم

¹ م.ن. ص 39

² الديوان ص 11

³ م.ن. ص 27

⁴ م.ن. ص 27

وتحدث عن ضياع فلسطين، فالزعامات العربية تهاونت في السعي للقضية الفلسطينية، إذ ظهر رأي صريح وواضح لأنطون الشوملي، لنيل الحرية يجب المواجهة بالشجاعة أو الموت بكرامة، فيقول¹:

أخذنا الشَّقَّاقَ شعارًا لنا وقُلْنَا: "حرامٌ علينا الإخاء "
فلا نفخرنَّ بعُربٍ مضوا فإنَّا من العُربِ حقًا براء
نريدُ الفعالَ وصدقَ المقالِ ونبذُ العداءَ وحسنَ البلاء
فإمّا حياةُ الأُباةِ الكرامِ وإمّا مماتٌ يروقُ السَّماءُ

ومن هذا المنطلق، نجد أنّ شاعرنا " تميز بالتزامه بقضايا أمته وشعبه، وترتكس في شعره قدرةً مبدعةً، على تطويع القصيدة لمواقفه السياسية والثقافية، بمستوى مكّنه من استيعاب قضايا النضال الثوري، في شعرٍ يفيض بالحيوية والتدفق"².

¹م.ن. ص 13
²حسن السلواي. الشوملي وقصيدته في ذكرى وعد بلفور. مجلة الإسراء. العدد 139. نيسان وأيار 2018م. ص 88

الفصل الثاني

الدراسة الفنية

أولاً: اللغة.

ثانياً: الأسلوب

- الحوار
- التصريح
- الأساليب الإنشائية
- المحسنات البديعية
 - الطباق
 - التضمين
 - الجناس

ثالثاً: التناس

رابعاً: الصورة الفنية

الفصل الثاني

الدّراسة الفنّية

أولاً: اللغة.

اللفظ والمعنى أهم ركيزتين يرتكز عليهما الشعر¹، رغم اختلاف آراء النقاد فيهما، ومحاولة المفاضلة بينهما من خلال إظهار مزية كل منهما. ولهذا الجانب قيمة جمالية، لأنها تؤدي إلى إلى حسن الشعر وحلاوته، وقوة تأثيره في نفس المتلقي، أما إذا قصر الشاعر في ذلك، فإنه يكون سبباً في ضعف بنائه اللغويّ، وسوء تأثيره في النفوس².

والشاعر المبدع هو الذي يختار الألفاظ المناسبة للمعاني، والملائم لموضوع القصيدة والإطار العام لها، فأجود الكلام عند العرب ما كان سهلاً جزلاً، لا يشوبه شيء من كلام العامة، والألفاظ الحوشية، وكرهوا أن يكون الكلام مبتذلاً وسوقيًا³.

واللغة السّمة الأساسية التي يقوم عليها الشعر، وإحدى مقومات القصيدة الشعرية وتركيبها، كما أنّ العمل الأدبي يستغل كل إمكانيات اللغة الموسيقية والتصويرية والإيحائية⁴.

ولأن الشاعر ابن بيئته يتأثر بما يدور حوله من مواقف وأحداث، فاللغة المقصودة هي " اللغة المشبعة بالتجربة قادرة بحكم صياغتها أن تحمل رؤية الشاعر للوجود عن طريق عمل فني متماسك"⁵.

وإذا تتبعنا الأصول المعرفية واللغوية الظاهرة في شعر الشوملي وجدناها تنبع من ثلاث ثقافات:

¹ أحمد بدوي. أسس النقد عند العرب. القاهرة: دار نهضة مصر. 1996. ص 363
² عبد الفتاح عثمان. نظرية الشعر في النقد الأدبي القديم. القاهرة: مكتبة الشباب. ص 186.
³ العسكري، الصناعتين. ط. 1. تحقيق: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار إحياء الكتب العربية ص 148، 149
⁴ محمد مندور، الأدب وفنونه. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. 2006. ص 25-28
⁵ محمد العشماوي. قضايا النقد الأدبي والبلاغة. بيروت: دار النهضة العربية. 1979. ص 42.

1. ثقافة دينية، استمدتها من الكتاب المقدس (العهد القديم، العهد الجديد)، وتظهر آثارها بشكل جليّ في اقتباساته و بعض ألفاظه. يقول¹:

" أحبب قريبك مثلَ نفسك " شرعةٌ سُنَّتْ على الأحابِ والأعداءِ

وظف الشاعر هذه الألفاظ من آية وردت في إنجيل متى، وهي " والثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ "². ليدلل على أنّ تحب لغيرك ما تحب لنفسك من الخير.

2. ثقافة أدبية، أفادها من اطلاعه على الكثير من الشعر القديم خاصة المتنبي، والشعر الحديث خاصة أحمد شوقي، إذ استوحى الكثير من ألفاظه منهما. يقول³:

يا آل قومي وحدوا آراءكم فالرأي قبل شجاعة الشجعان

وهنا اقتباس من شعر المتنبي، " الرأي قبل شجاعة الشجعان "، ليدلل على أهمية الوحدة العربية في مواجهة العدو.

3. ثقافة سياسية، من خلال إدراكه لأحداث الظلم والقتل والتهجير التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، ومعايشته للحكم العثماني، والبريطاني، والإسرائيلي. بالإضافة إلى تتبعه للثورات العربية ومساندته للعرب. يقول⁴:

إلامَّ النَّوْمُ يا قومي إلاما فإنَّ النَّوْمَ قد أضحى حراما

يعيثُ بأرضكم نفرٌ لئيمٌ يسخرُ من بني قومي اللئاما

يُعاتب شاعرنا شعبه، ويقوم بمهمة التنبيه لمخاطر وجود العدو بأرضهم، ونهب خيراتها، هذا إلى جانب ظهور العملاء والجواسيس.

هذه الثقافات أكسبت شاعرنا قدرة لغوية ومعرفية استطاع من خلالها صياغة الألفاظ التي تحمل إيحاءً، ليصل المطلع إلى صميم موضوعها قبل التفاصيل، ومن ذلك قوله¹:

¹ الديوان. ص 47

² إنجيل متى (22 : 39). انظر: <https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=50&chapter=22&vmin=39&vmax=39>

³ الديوان. ص 37

⁴ م. ن . ص 34

زهرةٌ تذبلُ في رِيعانِها هل رأيتَ الدَّمْعَ في أجفانِها؟

غالها الموتُ ولم يرحمُ شداً ضاعَ منها وهْيَ في إبَّانِها

صُوحَ الرُّوضِ حداداً وانْبَرَتْ طَيْرُهُ تَبْكِي على أفنانِها

فتدلنا ألفاظه (تذبل، الدمع، الموت، حداداً، تبكي)، على حزنه على فراق صديقه.

وفي موضعٍ آخر نستشف من إحياءاته وفن صياغته ما يمكن أن يرشدنا إلى حاله بوجود رفيقته الجديدة (السجارة) والتي يجعلها بمثابة (خيرة الخلان والأحباب، سلوتي، شفيتني) أي الإيحاء الإيجابي، بعدما كان وحيداً، فيقول (وحدتي وعذابي، الألم، ضئى) أي الإيحاء السلبي، فيقول²:

يا خيرةَ الخلانِ والأحبابِ يا سلوتي في وحدتي وعذابي

كم جئتُ أَلثمُ ثغركَ المعسولَ لَمَّ ما جفَّفَ الألمُ المذيبُ رُصابي

فشَفيتني ممَّا أكابدُ من ضئى وشددتِ ما قد دقَّ من أعصابي

وبتضح مما سبق جانباً مهماً في إحياءات ألفاظه، خاصة ما يتعلق بالألفاظ التي ذكرت في المثالين السابقين، (تذبل، حداد، الألم، وحدتي وعذابي...)، فشاعرنا اختار الألفاظ المناسبة في الموقع المناسب، فوجودها في السياق بذلك الشكل أدى إلى التناسق والتآلف الموجود في النص. وهكذا يمضي في جميع قصائده، مستخدماً ثروته اللغوية في تمكين أفكاره دون أن يضطر إلى وضع ألفاظ لا تتناسب إحياءاتها مع موضوعه، فكان توظيفاً يقتضيه المقام.

¹م.ن. ص 248

²الديوان. ص 323

ثانيًا: الأسلوب

يُعد الأسلوب من أهم وسائل التعبير في الشعر، فيعرف بـ " طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ، وتأليفها للتعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح، أو التأثير أو الضرب من النظم، والطريقة فيه " ¹.

ومن خلال تتبع السمات الأسلوبية في الديوان، يلاحظ أن الشاعر وظّف أسلوب الحوار، التصريح، الأساليب الإنشائية، ولم ينس توظيف المحسنات البديعية كالتضمين، والجناس، وغيرهما في نصوصه الشعرية.

ومن الأساليب التي وظفها شاعرنا:

1. أسلوب الحوار

وللشوملي قصائد تسير وفق نظام مسلسل يعتمد على الحوار، وذلك لأنه يعتمد بشكل رئيس على " الترابط والتلاحم بين أبيات القصيدة " ²، ونجد ذلك في قصيدته " أنا وطائري "، إذ يقول: ³

الشاعر: أَيُّهَا الطَّائِرُ أَقْلَعُ عَنْ بَكَائِكَ واشدُّ، سَلِ الْيَوْمَ هَمِّي بِسَمَاعِكَ

أنا يا طيرُ حزينٌ مدنفٌ حالي اليومَ غدْتُ من مثلِ حالِكَ

أنا لمَ أَسْجُنُكَ عِنْدِي عَبَثًا لا وَلَمْ أَذْخُرْكَ إِلَّا لَغْنَائِكَ

فأَفْضُ في مَسْمَعِي أُغْنِيَةً من أَغاني الخُذِ تَشْدُوها الملائِكُ

رُبَّ شِدْوٍ صَفَّقَ الْقَلْبُ لَهُ بَعْدَ هَمٍّ مِثْلَ جُنْحِ اللَّيْلِ حَالِكَ

الطائر: أَنَا لَمْ أُخْلَقْ لِسَجْنٍ لَا وَلَا أَسْتَطِيعُ الشَّدْوَ إِلَّا فِي الْأَرَائِكِ

قد بَرَّاني اللهُ حَرًّا هَائِمًا بينَ أَجْوَازِ الْفَضَا أَشْدُو هُنَالِكَ

أَنْتَ يَا صَاحِبُ قَدْ صَفَّدْتَنِي فَأَنَا الْيَوْمَ ذَلِيلٌ فِي شَرَائِكِ

¹ أحمد. الشايب. الأسلوب. ط. 12. القاهرة: مكتبة النهضة العربية. 2003. ص 44.

² شوقي ضيف. فصول في الشعر ونقده. القاهرة: دار المعارف. 1971م. ص 298.

³ الديوان. ص 316

لا أرى شمسَ الضُّحَى إنْ برزتْ لا وَلَا بدرَ سَمَائِي فِي سَمَائِكَ!
ونَسِيمُ الصُّبْحِ عَنِّي دُذْنُهُ وعَبِيرُ الرُّوضِ يَسْرِي كَالْفَلَاثِكِ!
ثُمَّ تَرْجُو مِنْ طَرِيدٍ بَائِسٍ بَعْضَ شَدْوٍ! خَابَ فُلٌّ مِثْلَ فُلِّكَ!

ففي هذه القصيدة يظهر جانب الوحدة العضوية واضحاً عبر تسلسل محكم حوارى، في البداية يطلب الشاعر من طائره " الحزين "، أن يشدو له ويطريه بصوته العذب ليخفف عنه حزنه، وي طرح فكرته المحورية في هذه القصيدة بأنه لم يسجن هذا الطائر عبثاً، وإنما كان الهدف " غنائه "، وبعدها يرد الطائر معترضاً بقوله " أنا لم أُخْلَقْ لسجنٍ "، ويتابع بذكر كل ما حُرِمَ منه بسببه، ويصف نفسه بالذليل بعدما كان حُرّاً في الرياض والبساتين، يرى شمس الضحى ويشعر بنسيم الصباح.

ويُكمل شاعرنا معاتباً الطائر:¹

أَيُّهَا الطَّائِرُ مَهَلًا لَا تَكُنْ مُنْكَرًا صُنْعَ أَيَادِي أَوْلِيائِكَ
فَلَقَدْ كُنْتَ شَرِيدًا بَائِسًا فَأَوْبِنَاكَ وَزِدْنَا فِي هَنَائِكَ!

قدّم الشاعر لطائره المساعدة وأنقذه بعدما كان بائساً شريداً، لا يملك قوت يومه، فتبدّل حاله هذا ليجد مأوى لم يكن ليفكر به حتى في خياله، وشرب من كأسٍ مذهبة لم يشرب منها غيره، ويأكل من أجود الأطعمة والأذها، ويستتكر الشاعر كيف لك أيها الطائر أن تترك كل هذا، وتذهب. إذ يقول:²

بَيْتُكَ الْيَوْمَ غَدَا ذَا دَعَةٍ لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ فِيهِ بِخِيَالِكَ
لَمْ تَكُنْ تَشْرَبُ إِلَّا رَنْقًا مِنْ سَيُولٍ كَدَرَتْهَا رِجْلُ سَالِكَ
فَمَلْنَا لَكَ كَأْسًا مُذْهَبًا مِنْ نَمِيرٍ مَا رَأَهُ كُلُّ آلِكَ
وَانْتَقَيْنَا لَكَ مِنْ أَهْرَائِنَا كَرَمًا بِهِ أَجُودُ بُرٍّ لِعِزَائِكَ!

¹ الديوان. ص 317
² م.ن. ص 317

ولقد كنت إذا البطن حوى منك لا تلقى سوى صلب رؤاك!

أيها الطائر فكر ساعة كم حسود طامع في نهب مالك

لم يكن هذا الطائر منكرًا لما قدمه شاعرنا له، وإنما جل ما يريده " الحرية "، فالسجن شقاء وإن كان فيه كل ما يرضيه، إذ يقول الطائر:

أنا لا أنكر فضلًا جئتُه لك في قلبي ولا لولائك

إنما السجن شقاء حيثما كان، لا يرضاه مثلي في فنائك

ليس في الدنيا سوى حرّيتي فإذا ولت فإني جد هالك!

أنا حرّ فإذا كنت فتى حرّ نفس لا تُقيدني بدارك!

ونجح الطائر في إقناع شاعرنا بإطلاق سراحه، وانتهت القصة بقول شاعرنا:

أيها الطائر كم قد رشت لي من سهام مُصمياتٍ بملامك

أنت يا طائر حرّ فانطلق بسلام، فاشدّ وامرّح في فضائك

لم يكن الشوملي في تلك القصيدة باحثًا عن إجابة لسؤال " لماذا كان هذا الطائر منكرًا لما فعله معه؟" ولكنه كان يبحث عن نفسه في ذلك الطائر، ليجد أن تشابهًا يجمع بينهما ألا وهو البحث عن الحرية. فكل ما تم ذكره في القصيدة كان بالتأكيد له رمز، فشمس الضحى، ونسيم الصباح، عبير الروض، كلها ترمز إلى الأمل الذي يتوق الشاعر إليه.

وبصل بنا إلى الأبيات الثلاثة الأخيرة والتي ختم شاعرنا بها قصيدته، إذ يبين بأنه يعني بالطائر نفسه، فراحتها تكمن عند الله، وهذا يذكرنا بما ورد في سفر المزامير في الكتاب المقدس: " ارجعي يا نفسي إلى راحتيك، لأنّ الربّ قد أحسن إليك "¹، إذ يقول:

أيها الطائر يا نفسي لقد بُحت بالشكوى وإنّي كذلك!

أنت يا نفسي لقد آلمتني فاذهبني عني وطيري في سمائك!

¹مزمور 116: 7. انظر: https://almagd.tv/bible/psa/116/verse_7.

أَنْتِ نَوْرٌ فَاهْرُبِي مِنْ ظِلْمَةٍ وَارْجِعِي يَا نَفْسُ فَرَحِي لِإِلَهكِ!

ومن الممكن أن يستخدم الشاعر أسلوب الحوار في مقطع من القصيدة، كقوله¹:

قَالَتْ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ جَبِينَهَا: احْذَرِ عَيُونَ الْعَاذِلِينَ الْحُسَدِ

فَأَجَبَتْهَا: سِيرِي فَلَسْتُ بِخَائِفٍ أَحَدًا وَجَنَبِي رَمَحُ قَدْ أَمْلَدِ

مَنْ كَانَ يَخْشَى فِي الْغَرَامِ عَوَازِلًا أَخْلِقْ بِهِ فِي الْحَبِّ أَلَّا يَهْتَدِي

ففي هذه الأبيات لا نستطيع تقديم بيت وتأخير آخر، لأن أسلوب الحوار يقتضي مثل هذا التلاحم العضوي، ابتداءً بسؤالها له، ومن ثم إجابته لها، وانتهاءً بتعبيره عن شجاعته وعدم خوفه من العاذلين الحُسد.

2. التصريح

ومن مظاهر جمال المطلع في القصيدتين القديمة والحديثة، التصريح، وهو " أن يستوى آخر جزء في صدر البيت، وآخر جزء في عجزه وزنًا ورويًا وإعرابًا "²، و " كلما كان الشعر أكثر اشتمالًا عليه كان أدخل في باب الشعر، وأخرج له عن مذهب النثر "³.

وسبب التصريح " مبادرة الشاعر القافية، ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، و لذلك وقع في أول الشعر "⁴.

والقارئ لمطالع قصائد الشوملي، يجد فيها نوعًا من الاهتمام بالتصريح، وهو غالبًا لا يبدأ بالمقدمات، ولا يتجه إلى الرمز، بل يطرح ما يريد بشكل مباشر، فمن ذلك قوله⁵:

تَطِيبُ أَيَّامُنَا، تَحْلُو لَيَالِينَا فَالْيَوْمَ قَدْ حُقِّقَتْ أَسْمَى أَمَانِينَا

فهذا المطلع إيجاز مكثف لمضمون قصيدته، إذ جاء يوم تحقيق الأمانى بسيامة سنّة من كهنة البطريكية اللاتينية.

¹ الديوان. ص 281

² أحمد بدوي. أسس النقد الأدبي عند العرب. ص 307

³ بدوي طيانة. معجم البلاغة العربية. ط. 3. جدة: دار المنارة. 1988. ص 336

⁴ بدوي طيانة. م. ن. ص 337

⁵ الديوان. ص 80

و كذلك الأمر في قوله في رثاء شقيقه¹:

فَدَيْتُكَ لَوْ بوسعي يا أخياً بِروحي وهي أنفسُ ما لَدَيَّا

وهذا الإيجاز لمضمون القصيدة ليس فقط في مطالعه المصرة، فهي تظهر بوضوح أكثر في مطالعه الأخرى غير المصرة، ومن ذلك قوله²:

يا قومُ إِنَّ الرَّبَّ يَبْغِي وَحدةً كنسيَّةً تُرضي المسيحَ طويلاً

على الرغم من أن عنوان القصيدة كان مباشراً للمضمون، " دعوة إلى الوحدة الكنسية "، إلا أنه عند قراءة باقي أبيات القصيدة نجد شاعرنا لم يتجاوز ما جاء في المطلع من الدعوة للوحدة الكنسية.

وفي قصيدة (فلسطينُ تتادي الشبابَ)، يبدأ شاعرنا نظمته³:

شبابي شبابي بحقِّ العلاء بحقِّ الوفاءِ بحقِّ الولاءِ

ما يزيد المطلع السابق جمالاً، هو استخدام أسلوب النداء الذي يفيد التنبيه، وكذلك التصريح الذي يضيف على المطلع جمالاً موسيقياً، والذي بدوره يلامس ذهن المتلقي وعواطفه.

3. الأساليب الإنشائية.

ومن الأساليب، الأسلوب الإنشائي المتمثل في أسلوب الأمر الذي يفيد الالتماس، كقوله في قصيدة (الكاهن)، بمناسبة سيامة الأب وليم الشوملي كاهناً⁴:

كنْ عزاءً، كنْ رحمةً، كنْ سلاماً كنْ رجاءً، كنْ فخرَ كلِّ قريبٍ

يوصي شاعرنا هذا الكاهن، ويطلب منه أن يكون معيناً لكل محتاج، ورحيماً بهم، وأن يتصف بفضيلة الرجاء، ليكون فخر وثقة للمسيحيين.

¹ الديوان، ص 249

² م.ن. ص 69

³ م.ن. ص 11

⁴ م.ن. ص 52

و استخدم الأسلوب عينه في قصيدة ألقاها في حفلة تخريج الفوج الأول من طلاب مدرسة الروم الكاثوليك في 1978، إذ يقول¹:

أَدُّوا لَأَوْطَانِكُمْ حُبًّا يَشْرَفُكُمْ فحُبُّ أَوْطَانِكُمْ مِنْ أَوْجِبِ الدِّمِّ

بالإضافة إلى استخدام أسلوب النداء الذي يفيد العتاب، ومن ذلك قوله في قصيدة (هل تذكرين ؟)²:

يا مَيِّ قَدْ أَسْقَيْتَنِي بالهجرِ كأسًا ما أَمَرَ!

يا مَيِّ قَلْبِي مِنْ دَمٍ رَقِّي فَمَا هُوَ مِنْ حَجَرٍ

يعاتب شاعرنا محبوبته " مَيِّ "، على طول البُعد والفرق، ويشكو من ألمه وعدم تحمله هجرانها، أو قطع المودة معه.

ومن الأساليب الأخرى، أسلوب الشرط، كما في قوله في قصيدة (فَحَيَّ عَلَى الضَّمَانِ)³:

إِذَا مَا الطَّبُّ أَضْحَى جَمَعَ مَالٍ فلا مَالٌ يَطِيبُ وَلَا طِيبُ

وكأنَّ هذا البيت تعدى من كونه أسلوب شرط عادي، بأن الطب وجد بالأساس لخدمة المرضى، وليس لجمع المال واستغلال حال الناس ومرضهم، فإذا تحول عن هذا الأساس، فسلام على الطب والأطباء، لهذا جعل شاعرنا هذه الخاتمة بمثابة حكمة.

4. المحسنات البديعية

أ. الطباق

يقول ابن أبي الأصبع: " فرأوا الكلام الذي قد جمع فيه بين ضدين يحسن أن يسمى مطابقاً، لأن المتكلم قد طابق بين الضدين " ⁴. وقسم البلاغيون الطباق إلى قسمين⁵:

¹ الديوان ص 129

² م.ن. ص 265

³ م.ن. ص 114.

⁴ ابن أبي الأصبع، تحرير التحرير. تحقيق: حفني محمد شرف. الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي. ص 111

⁵ أحمد مطلوب و كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق. ط.2. العراق: منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. 1999. ص

• طباق إيجاب: وهو الجمع بين لفظين مثبتين متضادين، مثل " أيقاظ "، " رقود " .

• طباق سلب: وهو الجمع بين لفظ ومنفيه، مثل " يعلمون "، " لا يعلمون " .

ومن أمثلة ذلك في ديوان شاعرنا، قوله¹:

وأرى الشفاء بوحدة كنسيّة لتصدّ داءً في النفوسِ وببلا

ظهر الطباق بين كلمتي (الشفاء والداء)، فالشاعر يرى أن الحرية لا تتحقق إلا بوحدة كنسية.

وقوله²:

ولا تخشوا عدوّاً مستبداً ينكّلُ بالمسنِّ والوليدِ

جاء الطباق بين لفظيّ (المسن والوليد)، وذلك لبيان ضعف العدو وجبنه، والذي يستقوي على الأطفال والمسنين، فعند المواجهة سيهزم شر هزيمة.

ب. التضمين

هو نوع من أنواع البديع، ومعناه أن " يضمن الشاعر شيئاً من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً "³.

ويظهر من خلال شعر الشوملي أنّه كان مهتماً بالتضمين، وإن دلّ هذا على شيء، فإنما يدلّ على دراية بالشعر القديم، وبخاصة شعر المتنبي. وكان يختار أجمل التضمين وأحسنه، دون أن يصرفه عن معناه الأصليّ في أغلب الأحيان، ومن ذلك قصيدته في تهنئة " الأب شكري سرور بيوبيله الفضّي "⁴:

فقد أجمعت طرّاً على حبّها له وأضحتُ تغني بيتَ شعرٍ لأحمدا

"وقيّدتُ نفسي في ذراكَ محبّةٍ ومن وجد الإحسان قيّداً تقيداً"

¹الديوان. ص 55

²م.ن. ص 16

³القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. ط. 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2003. 1 \ 183.

⁴الديوان. ص 90

فهي مضمنة من قصيدة المتنبي في تهنة سيف الدولة بعيد الأضحى¹:

وقيدت نفسي في ذراك محبةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيداً

وقد يضمن في قصائده بيتاً كاملاً، ويُعير بعضاً من كلماته، ولا يصرفه عن غرضه الأصلي، فيقول في قصيدته (وتصفنا يدُ الظلام)²:

إلام النّومُ يا قومي إلاماً فإنّ النّومَ قد أضحى حراماً

يعيثُ بأرضكم نفرٌ لئيمٌ يسخرُ من بني قومي اللئاماً

ففي بيته الأول تضمين من قصيدة " شهيد الحق " لأحمد شوقي³:

إلام الخلفُ بينكمُ إلاماً وهذي الضجّةُ الكبرى علماً

إذا كان أحمد شوقي يطرح استفهاماً أراد منه تأنيب وإنكار ما يفعله أبناء شعبه، فالخلاف بينهم أبعدهم عن الهدف الرئيس ألا وهو الحرية، و يريد منهم التمسك بهذا الهدف والوحدة فيما بينهم، كذلك الأمر لشاعرنا، فهو يلوم قومه على غفلتهم وإفساح المجال للأعداء بالسيطرة على البلاد، بالإضافة إلى عرضه قضية هامة وهي الجواسيس والخونة.

وكذلك قوله في قصيدة (المسيح والسلام)⁴:

وُلدَ المسيحُ فضاءت الأكوانُ وتضوّعتُ فكأنّها ریحانُ

ففي الشطر الأول تضمين من قصيدة (الهزبة النبوية) لأحمد شوقي والتي مطلعها⁵:

وُلدَ الهدى فالكائناتُ ضياءُ وقَمَ الزمانُ تبسّمَ وثناءُ

¹ديوان المتنبي . ضبط المعلم بطرس البستاني. بيروت. المطبعة السورية. 1860. ص 249.

²الديوان. ص 34

³الشوقيات. شرح وتعليق: د. يحيى شامي. لبنان: دار الفكر العربي . 2000 . ص 289. وأحمد شوقي أمير الشعراء، ولد في سنة 1870، إبان حكم الخديوي إسماعيل وتوفي عام 1932. وارتفع النواح في مصر والأقطار العربية، وانبرى الكتاب والشعراء في مصر والشرق العربي يرثون الشاعر ويعزون الوطن في هذا العلم الذي طوى إلى الأبد. انظر: ممدوح الشيخ. أمير الشعراء أحمد شوقي حياته وشعره. المركز الدولي للدراسات والاستشارات والتوثيق. ص 7- 23.

⁴الديوان. ص 77

⁵أحمد شوقي. الشوقيات. تحقيق: عمر فاروق الطباع. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم. ص 77

فإذا الشوملي قالها في السيد المسيح في يوم ميلاده، فإن شوقي من قبله نظم هذه القصيدة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام.

ومن قدرته على نقل معاني الأبيات المضمنة من غرضٍ إلى آخر، ما قاله في قصيدة رثى فيها الملك فيصل بن الحسين، فيقول شاعرنا¹:

ملكٌ أعدَّ كتابًا من رأيه والرأي قبل شجاعة الشُّجعانِ

وكررها أيضًا في قصيدة رثى فيها شهداء فندق الملك داوود، إذ قال²:

يا آل قومي وحدوا آراءكم فالرأي قبل شجاعة الشُّجعانِ

ويقول المتنبي في مدح سيف الدولة³:

الرأي قبل شجاعة الشُّجعانِ هو أولٌ وهي المَحَلُّ الثاني

فالرأي السديد أهم من الشجاعة، فالشجاعة والقوة إذا لم يصدرا عن فكرٍ سليم ورأيٍ حصيف، أدّت لهلاك صاحبها.

ج. الجنس

هو تشابه اللفظين في النطق، واختلافهما في المعنى، وسبب التسمية أن حروف ألفاظه مركبة من جنس واحد⁴. ويشير الجرجاني إلى أن "التجنيس لا يُستحسن إلا إذا كان موقع اللفظتين من العقل موقعًا حسنًا، ومقصد الجامع بينهما مقصدًا بعيدًا"⁵.

والجناس التام: "هو أن يتفقا في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها وترتيبها"⁶،

ومن أمثلة الجنس التام في شعر الشوملي قوله⁷:

¹ الديوان. ص 232

² م.ن. ص 37

³ ديوان المتنبي. ص 276. أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي الكندي ولد في الكوفة 303هـ، وهو حكيم الشعراء وشاعر العربية الأول. وأحد مفاخر الأدب العربي. وتوفي مقتولاً في طريق عودته من شيراز إلى بغداد 354 هـ. الزركلي، الأعلام. دار العلم للملايين. 2002. 1/ 115.

⁴ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. بيروت: المكتبة العصرية. 1995. 1/ 262

⁵ عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. تحقيق: محمد رشيد رضا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1988. ص 4

⁶ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة.. ص 288.

⁷ الديوان. ص 16

إذا بَلَّغْتَ عاصمةَ الرشيدِ فحيَّ المجدَ في شخصٍ " رشيد "

فالشاهد في هذا البيت لفظ الرشيد في الشطر الأول هو هارون الرشيد، ورشيد في الشطر الثاني بمعنى العاقل والحكيم والهادئ. وقوله أيضاً¹:

بُشِّرْ لَنَا نَحْنُ الشَّبَابِ الْيَوْمَ وَافْتَنَّا " الشَّبَابُ "

جانس الشوملي بين لفظ الشباب في الشطر الأول بمعنى الشباب الفلسطيني، والشباب في الشطر الثاني بمعنى اسم مجلة وهي الشباب. وكذلك قوله²:

خمرَةُ الكبرياء قد أُمْلَتْهم فمضُوا بالشُّعُوبِ نحو شُعُوبِ

جانس بين الشعوب بمعنى جماعة من الناس تخضع لنظام اجتماعي واحد ويتحدثون بلغة واحدة، أما شعوب الثانية فهي بمعنى الموت، يقصد من ذلك شاعرنا أن الحكام العرب قادوا شعوبهم نحو الموت، ودم الأبرياء يسفك ظلماً.

والجناس الناقص: يكون أحد ركنيه يشتمل على حروف الآخر وزيادة³. إذ يقول شاعرنا⁴:

يُعِينُ الْيَهُودَ لَنِيلَ الْعَهودِ وَيَدْعَى الرَّعِيمَ فَيَا لِلْبَلَاءِ

فجانس بين لفظ اليهود وهم جماعة يتبعون الدين اليهودي، ومحتلين للأراضي الفلسطينية، ولفظ العهود وتعني المناصب. فهنا الجناس اللاحق أي: أن تكون مخالفة أحد الركنين لأخيه بحرف متأخر⁵. وجاء المثال في هذا الجانب لأن مخرج حرف العين بعيد عن حرف الياء.

وجناس القلب: أو المقلوب، وهو ما اختلف فيه اللفظان في تركيب الحروف⁶. ومن أمثلة ذلك⁷:

وسادوا في الورى دنيا وديئاً وفنأ يبهز المتأملينا

¹ م.ن. ص 15

² م.ن. ص 51

³ صلاح الدين الصفدي. جنان الجناس في علم البديع. مطبعة الجوائب. ط. 1. 1299. ص 27.

⁴ الديوان. ص 11

⁵ الصفدي. جنان الجناس في علم البديع. ص 28

⁶ محمد التونجي. المعجم المفصل في الأدب. ص 331.

⁷ الديوان. ص 31

جانس الشاعر بين دنيا وهي الحياة الدنيا على الأرض، ودينا بمعنى الدين الإسلامي، ووقع القلب في الحرفين الثاني والثالث، مع بقاء بقية الحروف دون تغيير.

وعمد الشوملي إلى ضرب آخر، وهو الجناس المصحف: وهو ما تماثل ركناه وضعاً، واختلفا نقطاً، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميز عن الآخر¹، ومثال ذلك قوله²:

الضادُ فرحى قد عَزَّتْها هَرَّةٌ شعريَّةٌ في يومِ عيدٍ " الصَّاد "

جانس بين الكلمتين الصاد والضاد، متشابهة في الرسم، مختلفة في اللفظ، لاختلاف النقط. فالضاد حرف الضاد في اللغة العربية، والصاد المقصود به الأب ميشيل صاد.

ثالثاً: التناص

يُعد التناص من الظواهر النقدية الحديثة التي يكثر استخدامها في النصوص الأدبية، إذ لم ترد بهذا اللفظ عند النقاد العرب قديماً، " إلا أن فضاءاتها وجدت بطريقة أو بأخرى، فعندما نتحدث عن السرقات، أو الانتحال، أو المحاكاة، والاقتباس، والتضمين، والمعارضات، هي أيضاً تداخل لكن من نوع خاص، وليس بالمفهوم الذي طرحه أصحاب مصطلح التناص³."

ويمكن تعريفه في اللغة، كما يذكر الفيروز أبادي: " نص الحديث إليه رفعه، والنص إظهار الشيء ونص المتاع أي أظهره⁴."

أما اصطلاحاً: فيقصد به " تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تحمي الحدود بينها، وأعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها، وغاب الأصل، فلا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران⁵."

¹ محمد التونجي. المعجم المفصل في الأدب. ص 330-331

² الديوان. ص 86.

³ حسين العمري، إشكالية التناص مسرحية سعد الله ونوس أنموذجاً. ط. 1. إربد: دار الكندي. 2007. ص 18.

⁴ الفيروز أبادي. مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. ط. 3. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1978. 2 \ 317.

⁵ محمد عزام. النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب. 2001. ص 29.

يبدو أن الاستدعاءات المتنوعة من الشخصيات التاريخية، والدينية، والأدبية، في شعر الشوملي، لافت للانتباه، إذ كان لكل استدعاء معانيه ودلالاته الخاصة، ليكون شعره أكثر تعبيرًا ووضوحًا، ولا شك أن التناس يثري العمل الأدبي، ويفتح أبوابه للتأويل والتفسير.

• التناس الديني

كان تأثره بمعاني الكتاب المقدس - العهد القديم والعهد الجديد - واضحًا، وهذا ليس غريبًا، فمن خلال الحديث مع كل من يعرفه أكد لنا بأنه كان ملتزمًا ومحافظًا ومتدينًا، ويذهب دائمًا للكنيسة، ونجد مثل ذلك في قوله¹:

تَدْعُو إِلَى سَلْمٍ يُنَادِي فِي الدُّنْيَا: النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ كَالْإِخْوَانِ!

حيث أفاد معناه من الإنجيل، إذ يقول: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تُدْعَوْنَ سَيِّدِي، لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ"². يجب على المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير. ومثله قوله³:

هذا هو الطفل الإله — هيُّ اعبدوه في خفَر

هذا ابنُ داودِ أتى هذا المسيح المنتظر

إذ ورد في إنجيل لوقا، " أَنَّهُ وَلَدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ "⁴. استعمل الشاعر التناس مع الآيات السابقة ليدلل على أن المسيح المخلص من ظلم الدنيا، ويجب اتباع سنته ووصاياها.

وكذلك قوله في التأكيد على أن المسيح هو الهادي وهو الذي يخرج الناس من ظلمات الجهل والظلم والتفريق⁵:

¹ الديوان. ص 74

² إنجيل متى (8 : 23). انظر: <https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=50&chapter=23&vmin=8>

³ الديوان. ص 63

⁴ إنجيل لوقا (2 : 11). انظر: <https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=52&chapter=2&vmin=11>

⁵ الديوان. ص 82

ما شاء ربي إلا راعياً أحداً يَرعى الخرافَ ويهديها إلى المينا

فهذا ورد في سفر حزقيال بمعنى " وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رَاعِيًا وَاحِدًا فَيَرْعَاهَا عَبْدِي دَاوُدُ، هُوَ يَرْعَاهَا وَهُوَ يَكُونُ لَهَا رَاعِيًا " ¹. جاء الشاعر بهذا التناص ليدل على أهمية الوحدة الكنسية وعدم التفرق.

لا شك أنَّ الشخصيات الدينية تُعد من المصادر الهامة للشاعر، والتي تخدم نصه الأدبي بحسب حاجته إليه، إذ ذكر سيدنا يوسف عليه السلام في قصيدة (الرِّقَاء)، فيقول ²:

أفريدُ يا زينَ الشبابِ	أتراكَ غبتَ عن الصوابِ؟
اسمعُ مقالةَ ناصحٍ	حُرُّ أبِي لا يَهَابُ
وعشقتُ صفراءَ تمَّ	حُجُّ السُّمِّ في الدَّسمِ المُذَابِ؟
رقطاء تدعوها " بليسا "	وهي إبليسُ العجَابِ؟
وهاً عليكَ لقدْ عَدَوُ	تَ فريسةً بينَ الذُّئَابِ
أسمعتُ قصةَ يوسفٍ	مسطورةً طَيَّ الكتابِ؟
ووحقُّ ربِّي لم يكن	مختارُ في أمرِ كُذَابِ!
والوالدُ المسكينُ قدْ	ألقى على العينِ الحِجَابِ!

يعاتب فريد " زين الشباب "، ويطلب منه أن يأخذ بنصيحته، بعدما دخل طريق الأذى والخطأ، وعشيق " بليسا "، وأصبح فريسة بين الذئاب، فيستحضر قصة سيدنا يوسف عليه السلام، الذي وقع في فخ أعمال أخوته.

ويشير الشوملي- في موضع آخر من التناص-، إلى أنَّ وفاة الملك فيصل بن الحسين تركت أثراً بالغاً وجرحاً عميقاً في الأمة، ودلَّ على ذلك باستحضار الشخصيات الدينية المتمثلة

¹ (حز 34: 23). انظر: <https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=33&chapter=34&vmin=23>

² الديوان. ص 340

بالسيد المسيح والرسول محمد عليهما السلام، كونه من نسل الرسول الأحمد الهادي عليه أفضل الصلاة والسلام، فيقول¹:

الله يشهدُ والمسيحُ وأحمدُ أنَّ المصابَ أصابَ كلَّ جَنانٍ

قد كان يومُكَ يا ابنَ بنتِ مُحَمَّدٍ يومًا يُشيبُ نواصيَ الولدانِ

فقد كان هذا التناص ما هو إلا لبيان المصاب الجلل الذي تعرض له الشعب العربي بوفاة الملك فيصل بن الحسين.

• التناص التاريخي

لا ريب أنَّ الشاعر يختار من شخصيات التاريخ، ما يوافق طبيعة أفكاره، وقضاياه، وهمومه². واستحضارها يُعد محاولة لمعرفة الواقع وفهمه، من خلال الربط بين الماضي والحاضر، وبالتالي يكون التناص الوسيلة للوصول إلى غايته وخدمة أفكاره.

ومن الطبيعي أن الشاعر حين يوظف شخصية تراثية، فإنه لا يوظف من ملامحها إلا ما يتلائم وطبيعة التجربة التي يريد التعبير عنها من خلال هذه الشخصية، وهو يؤول هذه الملامح لتأويل الذي يلائم هذه التجربة³.

في قصيدة استدعى فيها الملك حسين، إذ يقول⁴:

سليلُ الثورة الكبرى حسينٌ أعددها ثورةٌ كبرى زبونا

فلسطينُ الشهيدة خيرُ أم تُنادي مِن بنيتها التَّائرينا

فمن يا ابن النبي يُحقُّ آيا من القرآن أودعت البطونا

سليل المصطفى قُدنا تجدنا ندورُ على البُغاة رَحَى طَحونا

رضينا الموتَ شَبَّانًا وشيِّبًا جهادًا في فلسطين رَضينا

¹ الديوان. ص 230

² علي عشري زايد. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. مصر: دار الفكر العربي. 1997. ص 120

³ علي عشري زايد. م.ن. ص 190.

⁴ الديوان. ص 307

فَطْعُمُ الْمَوْتِ شَهْدٌ إِنَّ دُعَيْنَا
لَنَلْقَى فِي ثَرَى الْوَطَنِ الْمَوْنَا

تمحورت هذه الأبيات حول شخصية " الشريف حسين "، قائد الثورة العربية الكبرى، واستدعاه لإبراز روح الجهاد والثورة التي كانت تضطرم بين أضلاع المجاهد الفلسطيني، الذي يسعى للنصر على المحتل.

مثلما انطلقت ثورة العرب من الجزيرة العربية طلباً للحرية، فإن استدعاء شخصية الحسين على سبيل المشابهة من أجل تحقيق الأهداف المنشودة. فإذا كان هذا الذكر من جانبٍ إيجابي، فإن شاعرنا ذكر شخصيات تاريخية من جانبٍ سلبي، وكأنه أراد أن يلف دولاب الزمن ليرجع بنا، ويتتبع أثر هؤلاء الظالمين في الأرض، فهم عاثوا فساداً فيها، وسفكوا الدماء، ونهبوا الخيرات، فيقول في قصيدة " في الذكرى السابعة عشرة لإعلان حقوق الإنسان " ¹:

نَرى فرعونَ في ناسٍ قيامٍ	على الأذقانِ كرهاً ساجدينَا
نَرى نبرونَ في شرفاتِ روما	يُوجِّحُ في مدينتِه أتونا
وذا القرنين يَغزو كلَّ أرضٍ	فَيروِيها الدِّماءَ ونابُلِيونا
وتيمورلنكا السِّفاحَ بغياً	وقمبيزاً وهُولاكُو اللِّعينا
طغاةٌ قد عَثوا في كلِّ أرضٍ	وراحوا في الضلالةِ سادِرينا
كَأَنَّ النَّاسَ قد خُلِقُوا عبيداً	لَهُمْ يَتَلَوْنَ آيَ العابدِينا
كَأَنَّ الأَرْضَ مُلكُهُمْ فهَبُوا	بأَرْضِ الله ظُلماً حاصِدِينا
بَنو الإنسانِ إخوانٌ كِرامٌ	ولو كانوا بأجناسٍ مئِينا
حقوقٌ ضُمَّنتْ صكاً شريفاً	بتأييدٍ وتنفيذٍ قَمِينا
وفي إعلانها شرفٌ رفيعٌ	لإنسانيةٍ ظُلِمتْ قرونا

¹ الديوان. ص 299

وقد آتى بصورة " فرعون، نيرون، ذو القرنين، نابليون، تيمورلنك، قمبيز، هولاكو "، فكل هذه الشخصيات مفعمة بالدلالات السلبية، فقد أصبحت رمزاً للقتل والاستبداد، والشاعر يرصد فترات تاريخية عاشها العالم، تعرضوا خلالها للظلم في ظل غياب القانون وحقوق الإنسان، ولا ريب أن الشوملي جاء بهذا الاستدعاء ليؤكد رفض الظلم والطغيان وعدم الاستسلام للظالم.

ويذكر القائد صلاح الدين الذي هزم الفرنج في معركة حطين، حيث أن دافع الاستدعاء كان لسببين:

- مباشر، لأنه يتحدث عن معركة حطين في قصيدتين.
- غير مباشر، حيث يرى بأن المجد والحرية تتطلب الشجاعة والقوة.

ويقول في قصيدة ذكرى معركة حطين¹:

نصرٌ على نصرٍ بسيفك يقطفُ لله دُرُكٌ في الوغى يا يوسف²
 سلٌ سهلَ حطّين إذا احتدم الوغى أنى صلاحُ الدين قامَ يطوفُ
 ما المجدُ إلا السيفُ يشرقُ منه بدمٍ به شهدُ المعالي يُرشفُ

وقوله في قصيدة صلاح الدين في حطين³:

لا يحررُ المجدُ إلا فارسَ لهج حامي الحمى إذا نادى مُناديها
 إنَّ المعالي قد ألفتُ مآلدها إلى الهُمام صلاح الدين حاميها

ويريد الشاعر من أبناء شعبه أن يفيقوا من غفلتهم، ويستيقظوا من سباتهم العميق الذي طالت سنواته، فبني صهيون يسيطرون على الأرض المباركة، فأين القادة أمثال صلاح الدين و عمرو بن العاص؟؟ ويقول أيضاً⁴:

يعيثُ بأرضكم نفرٌ لئيمٌ يسخرُ من بني قومي اللئاما

¹ الديوان. ص 42
² يوسف بن أيوب بن شاذي (532 - 589 هـ)، الملقب بالملك الناصر، أحد أبطال الإسلام المشاهير، وتحت قيادته استردَّ المسلمون بيت المقدس من النصارى في معركة حطين. انظر: الزركلي، الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين. 2002. ١8 220.
³ الديوان. ص 40
⁴ م.ن. ص 34

وتندبُ أرضُنَا الموتى قديمًا ولو سمِعوا لما ظلُّوا نياما
تتوحُّ على صلاحِ وابنِ عاصٍ ودمعُ العينِ ينسجمُ انسجاما
ومن أجمل ما استدعى به شاعرنا للقادة المسلمين، ليخدم نصه، إذ قال¹:
كفى العربَ الكرامَ غداةَ فجرٍ هدى الدنيا ونورَ العالمينا
فهُم وَلَدُوا الهداةَ الصالحينا وهُم وَلَدُوا محمَّدًا الأَمينا
وإنَّ أبا عبيدةَ من بنيهم وسيفَ اللهِ خالدًا المكيَنا
ومَن نصرُوا لدينَ المُسلمينا ومَن وَلَدُوا الخلائفَ راشدينَا
ونالَ الحقُّ في الدنيا مُناه وكانَ الحقُّ في الدنيا غَيبنا

في هذه الأبيات يثبت الشوملي فضل العرب المسلمين على العالم، من خلال استدعاء الشخصيات الدينية والتاريخية، " سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وأبو عبيدة، وخالد بن الوليد.....".

¹م.ن. ص 30

رابعًا: الصورة الفنية

تعد الصورة عنصرًا مهمًا من عناصر الأدب ومقوماته، وأساسياً للتعبير عن أحاسيس الشاعر وعواطفه وانفعالاته، وبدونها لا قيمة للشعر، لما لها من تأثير قوي على نفوس السامعين، ويختلف الشعراء في هذا باختلاف مواهبهم وقدراتهم الإبداعية.

والصورة هي " لب العمل الشعري الذي يتميز به، وجوهره الدائم الثابت، بل إن ذات الشاعر تتحقق تحققًا موضوعيًا في الصورة، أكثر مما تحقق في أي عنصر آخر من عناصر البناء الشعري"¹.

• التشخيص

يعرف الجرجاني التشخيص " فإنك لترى بها الجماد حيًا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية"².

ومن الأمثلة على ذلك، يقول³:

بيت جالا جئتُ أُذري دمعاً لفقيدٍ لكِ مقدامٍ جوادٍ

دمعاً من بيتٍ ساحورٍ إلى بيتٍ جالا وهي في ثوبٍ الحدادِ

يجعل من بيت جالا، امرأة ترتدي ثوب الحداد على فقيدها، ومن بيت ساحور امرأة تعزيها وتندرف الدمع.

وفي موضعٍ آخر، يقول⁴: فلسطينُ الجريحُ اليومَ ترجو خلاصاً منهمُ ومنَ اليهودِ

جعل من فلسطين إنسانًا جريحًا يطلب المساعدة من ظلم الإنجليز واليهود، ويسعى لنيل الحرية.

ويقول¹: ما أنتِ إلّا روضةٌ غنّاء قد غنيت بكلّ أزاهر الآداب

¹ محمد حسن عبد الله. الصورة والبناء الشعري، د. ط. القاهرة: دار المعارف. دت. ص 88

² عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. تحقيق: محمود شاكر. ط. 1. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1991. ص 43

³ الديوان. ص 218

⁴ م.ن.. ص 16

جعل من الكتاب بستانًا، فيه شتى أنواع الزهور الجميلة.

• التجسيم

وهو " تجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها أجسامًا أو محسوسات على العموم "2. فحينما بيّن الشوملي أهمية العلم في تنوير العقل، وأنه لا يصل المجد إلا بالمعرفة، فجعل من العلم سراجًا ينير الدرب المظلم، فالنور شيء معنوي، حوّله لشيء مادي وهو السراج، يقول³:

أنيروا العقول بنور العلوم فإنّ العلوم سبيلُ العلاء

وقوله⁴:

يا رجالَ الكهنوتِ أنتم ضياءٌ لنفوسٍ قد أظلمتْ بالذنوبِ

صوّر رجال الكهنوت بالمصباح الذي يضيء الطريق، من خلال نصائحهم للناس ودعمهم يخرجوهم من ظلمات الذنوب إلى نور الهداية.

• عناصر الصورة الحسيّة

عندما يوظف الشاعر الحواس بكافة أنواعها: السمعية، واللونية، والحركية، والشمية. يقصد بها تمثيل تخيل ذهني معين له دلالات رمزية. وقيمة الألفاظ الحسية تكمن في أنها تقوم على تنشيط الحواس، لأن الشعر إذا كان عقليًا محضًا كان مدعاة للملل⁵.

• الصورة اللونية

تتبع أهميّة الألوان في أنّها تكشف عن طبيعة الذات الشاعرة في التعامل مع الواقع المعاش، فهي ليست مجرد ألوان تُرى بالعين المجردة، بل هي أحاسيس ومشاعر، و يترك للشاعر المجال في تغيير المدلول اللوني بما يُناسب تجاربه الشعريّة⁶. فيقول⁷:

¹ الديوان. ص 320

² سيد قطب. التصوير الفني في القرآن. د.ط. القاهرة: دار الشروق. د.ت. ص 72.

³ الديوان. ص 14

⁴ م.ن. ص 50

⁵ عز الدين إسماعيل. الشعر العربي المعاصر. ط.3. مصر: دار الفكر العربي. د.ت. ص 132.

⁶ علي الخواجا. التشكيل الصياغي. ط. 1. رام الله: دار البيرق العربي. 2000. ص 89

⁷ الديوان. ص 40

كالعادل الملك الميمون طائره ربّ السيوف إذا احمرت نواصيها

أي من شدة القتال، جعل سيف صلاح الدين الأيوبي أحمر، دلالة على كثرة الرؤوس التي قطعها في المعركة.

ويقول¹:

وكانت بك الأيامُ بيضاً زواهرًا فوالهفتا أمسى السّوادُ يخيمُ

يصور الشاعر حال أيامه بوجود " عطا الله مصلح "، فكانت أياماً جميلة مزهرة، لكن سرعان ما تحولت إلى حزن وحسرة بوفاة.

يقول الشوملي²:

هي شيمَةُ الدَّهرِ الخَوونِ فواهبًا يومًا تراهُ وسالبًا في الثاني

والبسمَةُ الصَّفراءُ تعلو ثغره طُعْمٌ لنا بٍ فاتكٍ طَعانٍ

يصور الدهر بإنسان يبتسم مكرًا، بابتسامة صفراء تكمن وراءها أشباح الخيانة.

يقول شاعرنا³:

أهواك يا بيضاءُ كم بيّضتِ من ليلٍ طويلٍ حالكِ الجلابِ

سيجارتني دومي ملاذًا للشّفا من كلّ أتعابي ومن أوصابي

أشار للون الأبيض ليدل على سيجارته، وكأنها النور في هذا الظلام الدامس،

• الصورة السمعية

تمثلت الصورة السمعية في أصوات حزينة، مثل قوله⁴:

والعندليبُ على الغصو ن مرتلاً أشجى السُّور

¹م.ن. ص 222

²م.ن. ص 234

³م.ن. ص 324

⁴الديوان. ص 264

سكرت بها روحي وقل ستُ: الطيرُ غنّى أم شعر؟

شعرٌ لعمري رنّ في أذني كما رنّ الوتر

يصوّر لنا الشاعر صوت العندليب الشجي كصوت الوتر الحزين، وكأنه يواسيه علّه يخفف عنه لوعة الشوق.

ويقول في أبياتٍ أخرى¹:

إذا جرسٌ في الدّارِ نبّه سمعنا ظننّا أبا جورج أتاناً مُنادياً

نخالُ رنينَ الصوتِ منك مُجلجلاً بأسماعنا يَجْلُو علينا اللّآلِيا

ونفتحُ بابَ الدّارِ تهفو قلوبنا نرى جورج عنك الدار أصبح آتياً

يعرض الشاعر مشهداً سرابياً، فإذا كان التنبيه الذي يصدر من جرس الدار يبعث الفرحة بحضور الأب، إلا أنه في هذه الأبيات عكس ذلك.

• الصورة الحركية

وما يزيد القصيدة رونقاً، هو استخدام هذا النوع من الصور، ففي قصيدة صلاح الدين في حطين، يقول²:

خاضَ الصفوفَ وموجَ الموتِ مُلتطّماً موجٌ به مُهَجُّ الأعداءِ يفريها

لم يلقه بطلٌ إلا انثنى عَجلاً والروح تبلى من دعرٍ تراقبها

إن الفوارس إن لاقيتها طَرَحَتْ إليك أروُسها تحنُّ عاليا

يصور ما جرى في معركة حطين، ويبين شجاعة القائد صلاح الدين في مواجهة الفرنج، في مشهدٍ أتاح لنا تخيله، استحضر الشاعر فيها صلاح الدين، وفرسان الفرنج، والاشتباك بين الطرفين، فالصورة الحركية بدت واضحة.

¹ م.ن. ص 255

² م.ن. ص 40

في قصيدة تهنئة، استخدم الشاعر عناصر الطبيعة المتحركة، فجعل من أغصان الشجر تطرب وترقص، والروض فاحت منه رائحة طيبة وزكية، والناس تطرب وتفرح، وتغرد الطيور، وهذا كله فرحاً بالرئيس! فجمع الشاعر بين الصورة الحركية، والصورة السمعية، والصورة الشمية، بقوله¹:

فَالْغَصْنُ فِي غُنْجِ الرَّوْضِ فِي أَرْجِ النَّاسِ فِي هَزِجِ الطَّيْرِ غَرِيدُ

وكذلك في قوله²:

مَا لِلْغَصُونِ ثُرَيْنَا رَقْصَةً عَجَبَا وَالْعَنْدَلِيبُ عَلَيْهَا الْيَوْمَ قَدْ حَظَبَا

وَالرَّوْضُ يَنْشُرُ طَيْبًا مِنْ أَزَاهِرِهِ وَالْكُونُ يَرْسِلُ مِنْ أَسْرَارِهِ قُشْبًا³

جمع بين الصورة الحركية والسمعية والشمية، لبيان تهنئة " الأب شكري سرور بيوبيله الفضي"، فجعل من الغصون تستعرض رقصها في حين العندليب يغني ورائحة الزهر تفوح في كل الأرجاء.

• الصورة الشمية

في قصيدة لرتاء المرحوم ناجي العرجا، يصور الشاعر سمعته الطيبة بين الناس، كانتشار رائحة العطر في كل الأرجاء، فيقول⁴:

صَاحَ إِنَّ الْمَرْءَ ذَكَرَ بَعْدَهُ طَيِّبٌ سَطَّرَ فِي كُلِّ فَوَادٍ

إِنَّهُ عِطَّرَ خُلُودَ فِي الْوَرَى نَفْحُهُ مُنْتَشِرٌ فِي كُلِّ نَادٍ

ويقول في هذا الجانب أيضاً⁵:

سَبِيقَى ذِكْرِكَ الْمَعْسُولُ حَيًّا كَرِيحَانٍ يَضَوْعُ وَلَنْ يُضَاعَا

¹ الديوان. ص 122

² م.ن ص 84

³ القُشْب: الجديد

⁴ الديوان. ص 217

⁵ الديوان. ص 123

يصور الشاعر سمعة المعلمة " جميلة سعد " الطيبة والذكر الحسن، برائحة الريحان الفواحة التي تنتشر في كل مكان.

يقول شاعرنا في وصف رائحة سيجارته:

أين الطُّيُوبُ إذا تَأَرَّجَ ريحها من طيبِ أنفاسٍ نفحت عذابِ

فعندما تفيح رائحة سيجارته، تطغى على كل الروائح العذبة الأخرى.

وفي موضعٍ آخر، يقول¹:

لكَ العهد أن يبقى لسانِي معطرًا بذكرِكَ ما أَلْفَيْتُ في الأرضِ ساعيا

يأخذ على نفسه عهدًا بأن تبقى سمعة " المرحوم عطا الله مصلح "² الطيبة، ويجعل من لسانه بستانًا تزهر فيه الورود ذات الروائح الزكية العطرة كلما جاء بذكره وحسن سيرته.

¹ م.ن. ص 257

² هذا البيت من القصيدة التي نظمها الشوملي في ذكرى السنة الأولى لوفاة المرحوم " عطا الله مصلح " . م.ن. ص 256.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي تتم بعزته وجلاله الصالحات، وبحمده يُبتدأ ويختم كل أمر،
والصلاة والسلام على رسولنا الكريم، صل الله عليه وسلّم، وبعد:

فقد درست شعر أنطون الشوملي " أبو الوليد " (1914 - 1979 م)، دراسة موضوعيّة
وفنيّة، ومن خلال دراستي يمكنني أن أضع نتائج وتوصيات عدّة، هي:

أولاً: النتائج

1. أنّ شاعرنا أنطون الشوملي كان من أهم الشعراء وأبرزهم في بيت لحم بشكل عام، وبيت
ساحور بشكل خاص، ففي كل مناسبة أو حدث في داخل الكنيسة كانت له بصمة فيها،
ويُطرب الحاضرين بجميل أنغامه الشعرية.
2. تقديم دراسة جديدة لشاعر فلسطيني غير معروف، وتسلط الضوء عليه كشاعر يستحق
ذكر اسمه بجانب كبار شعراء عصره، الذين قاوموا الاحتلالين البريطاني واليهودي،
بالإضافة إلى موضوعات شعرية مختلفة.
3. يظهر من خلال سيرة أنطون الشوملي ومن شعره، أنّه أحب العلم والتعليم، وقد نظم
الشعر مذ كان يافعاً.
4. كان الشاعر واسع الاطلاع على التراث الأدبي والديني والتاريخي، ويظهر ذلك من
خلال شعره، فألفاظه في القسم الأكبر من الديوان لم تكن تتسم بالسهولة، وتحتاج إلى
المعجم لبيان معناها، وتضميناته تدل على تعمقه في القديم، واقتباساته من الكتاب
المقدس.
5. ظهور واضح وجلي في استخدام المحسنات البديعية، كالطباق، والجناس، والأساليب،
وغيرها.
6. نوع في الصور الشعرية، وتقنن في عرضها.
7. وقد بيّنت الدراسة أنّ شعر أنطون الشوملي ميدانٌ رحبٌ استحقّ ما بُذِل فيه من جهدٍ،
وأنّ تتناقله الألسن، وأنّ تعيه العقول، كان لا بدّ من تسليط الضوء عليه بمثل هذه
الدراسة.

ثانياً: التوصيات

- يجب الاهتمام في معرفة الشعراء الفلسطينيين الذين لم يُنشر شعرهم، فتوصي الباحثة بالاتّجاه نحو هذا النوع من الدراسات.
- دراسة للشاعر نفسه من الجانب النثري، فأنطون الشوملي لم يكن له هذا الديوان فقط، وإنما له مقالات وقصص نُشرت في الجرائد والمجلات.
- أن يُجعل لشعر أنطون الشوملي نصيب في مجالس العلم من مدارس وجامعات، لما يحمله من دروس أدبية.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتاب المقدس (العهد القديم - العهد الجديد).

ثانياً: المصادر

- __ أبادي، الفيروز. مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. ط. 3. . الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1978.
- __ ابن الأثير، نصر الله بن محمد. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. بيروت: المكتبة العصرية. 1995.
- __ ابن أبي الأصبع، عبد العظيم، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر. تحقيق: حفي محمد شرف. الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- __ الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل.
- __ الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة. تحقيق: محمد رشيد رضا. ط. 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1988.
- __ الجمحي، ابن سلاّم. طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكّر. القاهرة: مطبعة المدني.
- __ ابن رشيّق القيرواني، أبو علي الحسن. العمدّة في صناعة الشعر ونقده. تحقيق: الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان. ط. 1. القاهرة: مكتبة الخانجي. 2000.
- __ الزبيدي، مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965.
- __ الزركلي، خير الدين. الأعلام. دار العلم للملايين. 2002.
- __ الزمخشري، جار الله محمود. أساس البلاغة. تحقيق: عبد الرحيم محمود. بيروت: دار المعرفة. 1979.

- الشوملي، أنطون. الآثار الشعرية. ط.1. فلسطين: بيت الشعر. 2015
- الصفدي، صلاح الدين. جنان الجناس في علم البديع. ط.1. مطبعة الجوائب. 1299هـ
- العسكري، أبو هلال. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم. ط.1. دار إحياء الكتب العربية.
- بن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. د.ط. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. 1979.
- القزويني، جلال الدين. الإيضاح في علوم البلاغة. ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2003.
- العشماوي، محمد. قضايا النقد الأدبي والبلاغة. بيروت: دار النهضة العربية. 1979.
- المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد. التعازي والمراثي. تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. د.ت.
- المتنبي، ديوان المتنبي. ضبط المعلم بطرس البستاني. بيروت. المطبعة السورية. 1860
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر. 2003.
- النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق: يحيى الشامي. ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2004.

ثالثاً: المراجع

- إسماعيل، عز الدين. الشعر العربي المعاصر. ط.3. مصر: دار الفكر العربي. د.ت.
- بدوي، أحمد. أسس النقد الأدبي عند العرب. القاهرة: دار نهضة مصر. 1996.
- التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999
- حداد، صلاح. على ضفاف الشعر، دراسة نقدية. دار البستاني للنشر والتوزيع. 2004.
- الخواجا، علي. التشكيل الصياغي. ط.1. رام الله: دار البيرق العربي. 2000.
- أبو رحاب، حسّان. الغزل عند العرب. د. ط. القاهرة: مطبعة مصر.

- ركيبي، عبد الله. قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر. معهد البحوث والدراسات العربية. 1970.
- زايد، علي عشري. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. دار الفكر العربي. 1417هـ.
- أبو شاور، سعدي. تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط.1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003.
- الشايب، أحمد. الأسلوب. ط. 12. القاهرة: مكتبة النهضة العربية. 2003.
- الشهري، ظافر عبد الله. الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2002.
- شوقي، أحمد. الشوقيات. تحقيق: عمر فاروق الطباع. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- الشيخ، ممدوح. أمير الشعراء أحمد شوقي حياته وشعره. المركز الدولي للدراسات والاستشارات والتوثيق.
- ضيف، شوقي. 1. فصول في الشعر ونقده. القاهرة: دار المعارف. 1971م
2. الرثاء، سلسلة فنون الأدب العربي. دار المعارف. 1955
- طبانة، بدوي. معجم البلاغة العربية. ط. 3. جدة: دار المنارة. 1988.
- عبد الله، محمد حسن. الصورة والبناء الشعري، د. ط. القاهرة: دار المعارف. د.ت.
- عثمان، عبد الفتاح. نظرية الشعر في النقد الأدبي القديم. القاهرة: مكتبة الشباب.
- عزام، محمد. النص الغائب تجليات التناس في الشعر العربي، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب. 2001.
- العزب، يسري. القصيدة الرومانسية في مصر: 1932-1952، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
- العصا، عزيز. أنطون الشوملي أبو الوليد. ط.1. الأردن: الرعاة للدراسات والنشر. 2020 .
- العمري، حسين. إشكالية التناس مسرحية سعد الله ونوس أنموذجاً. ط. 1. إريد: دار الكندي. 2007.
- فؤاد، فايز. قيامة المسيح. د.ط. القاهرة: دار الأخوة للنشر. 2015.

- __ القط، عبد القادر. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر. ط.2. بيروت: دار النهضة العربية. 1981م.
- __ قطب، سيد. التصوير الفني في القرآن. د.ط. القاهرة: دار الشروق. د.ت.
- __ كويتير، إلياس. المطران جبرائيل أبي سعدى. 1997.
- __ المجالي، جهاد. دراسات في الإبداع الفني في الشعر. دروب للنشر والتوزيع. 2016.
- __ مطلوب، أحمد. البلاغة والتطبيق. ط. 2. العراق: منشورات التعليم العالي والبحث العلمي. م1999.
- __ مندور، محمد. الأدب وفنونه. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. 2006.
- __ هلال، محمد غنيمي. دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده. دار نهضة مصر. 1976.
- __ هيكل، محمد حسين. ثورة الأدب، ط.3، مكتبة النهضة المصرية. 1965

رابعاً: المجلات والموسوعات

- __ السلوادي، حسن. الشوملي وقصيدته في ذكرى وعد بلفور. مجلة الإسراء. العدد 139. نيسان وأيار 2018م.
- __ عباس، إحسان. الأدب الفلسطيني قبل 1948، حركة الشعر. موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 1997.

فهرس المحتويات

الإهداء.....	
الإقرار.....أ.	
شكر وعرفان.....ب.	
الملخص باللغة العربية.....ت.	
الملخص باللغة الإنجليزية.....ج.	
المقدمة.....1.	
التهميد.....3.	
ترجمة الشاعر.....4.	
الفصل الأول: الدراسة الموضوعية.....7.	
المبحث الأول: الشعر الوجداني.....8.	
أ. الغزل.....8.	
ب. الحنين.....11.	
ج. الشكوى.....14.	
المبحث الثاني: شعر المناسبات.....19.	
أ. المناسبات الدينية.....21.	
ب. المناسبات الثقافية.....27.	
ج. المناسبات الاجتماعية.....32.	
1. التهنئة.....32.	
2. الرثاء.....46.	
1) النذب.....48.	
2) التأبين.....51.	
3) العزاء.....56.	
المبحث الثالث: الشعر الوطني.....59.	

66.....	الفصل الثاني: الدّراسة الفنيّة.....
67.....	المبحث الأول: اللغة .. _
70.....	المبحث الثاني: الأسلوب..... _
70.....	أ. الحوار.....
73.....	ب. التصريح.....
76.....	ج. الأساليب الإنشائية.....
75.....	د. المحسنات البديعية.....
75.....	○ الطباق.....
76.....	○ التضمين.....
79.....	○ الجناس.....
81.....	المبحث الثالث: التناص..... _
88.....	المبحث الرابع: الصورة الفنية..... _
94.....	الخاتمة..... _
96.....	المصادر والمراجع..... _